قواعد العشاق
لمعرفة ما بين الآيات من التناسب والاشتياق

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

دار حامل المسك للنشر والتوزيع

الكويت

هاتف ٢٤٩٢٦٣٢١ - ٢٤٩٢٦٣٢٢ - النقال ٦٦٨٩٠٠٧٨ - فاكس: ٢٤٩٢٦٣٢٠

ص. ب ١٢٣٢٦ - الشامية - الرمز البريدي ٧١٦٥٣

Websit: www.hamel-almisk.com

E.mail: info@hamel-almisk.com

قواعد العشاق

لمعرفة ما بين الآيات من التناسب والاشتقاق

تأليف

عدنان عبد القادر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

(١) آل عمران: ١٠٢

(٢) النساء: ١

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[1].

أما بعد:

فإن أحسن الكلام كلام الله سبحانه وتعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

عند قراءتي لكتاب الله تعالى كثيراً ما تستوقفني آيات لا أجد لها مناسبة ظاهرة لما سبقها من الآيات مما يجعلني أتساءل عن سبب ورودها في هذا الموضع. من ذلك قول الله تعالى في آخر سورة الشورى ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ ؛ بينما سياق الآيات في عقوبة الكفار يوم القيامة.

ومنها قول الله تعالى في آخر سورة النساء ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ﴾ فذكر الله تعالى ميراث الإخوة؛ بينما سياق الآيات يدور حول إثبات وحدانية الله تعالى.

وفي آخر سورة النحل قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى

(١) الاحزاب: ٧٠-٧١

﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ بينما سياق الآيات في حنيفية الخليل إبراهيم عليه السلام.

بل لا تكاد تقرأ سورة إلا وتجد فيها في أكثر من موضع آيات تستوقفك لا تجد لها ارتباطاً ظاهراً، ولكن عند التأمل تجد الجمال في ورود تلك الآيات في ذاك الموضع.

❑ علم المناسبة

إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله؛ وأوله بآخره؛ ويترامى بجملته إلى غرض واحد كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة[(١)].

لذا فإن كل آية فيها ترتبط بالآيات التي قبلها والتي بعدها، فالآيات آخذة بأعناق بعضها في تأليف محكم إذ من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض.

فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض تجد فوائده غزيرة، وبها يتبين المعنى بعد المعنى، بل إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.

---

(١) انظر الموافقات للشاطبي (٣/ ٤١٢- ٤٢٠) النبأ العظيم (١٥٩)

ومن تأمل في لطائف نظم أي سورة في كتاب الله وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته.

فعلم المناسبات في غاية النفاسة ونسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو، وهو من عجائب شواهد التنزيل.

❑ التفسير الإشاري

وعلم المناسبة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتفسير الإشاري. والتفسير الإشاري: هو أن يلحظ القارئ لكتاب الله تعالى إشارات خفية بديعة تنكشف لمن فتح الله عليه حال التدبر؛ مع لزوم الإبقاء على المعنى الظاهر.

وقد أشار إلى التفسير الإشاري علي رضي الله عنه لما سئل: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ما ليس عند الناس؟ قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن»[1]. وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ أي للمتأملين المتفكرين ذوي الفهم والبصيرة

(١) رواه البخاري (٣٠٤٧، ٦٩١٥)

والفراسة، ومن هذا الباب دعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه الكتاب»[١].

والتفسير الإشاري قريب من الكناية. من ذلك ما فهمه عمر وابن عباس رضي الله عنهم من نزول سورة النصر بأن فيها نعي النبي ﷺ أي قرب وفاته؛ لذا قال ابن حجر: فيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم ولهذا قال علي رضي الله عنه: «أو فهماً يؤتيه الله رجلاً في القرآن»[٢].

قال ابن القيم: الإشارات من جنس الأدلة والإعلام، وسببها صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة[٣].

وقال: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «الصحيح منها ما يدل عليه اللفظ بإشارته من باب قياس الأولى». مثاله قول الله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصحيح في الآية أن المراد به الصحف التي بأيدي

(١) رواه البخاري (٧٥، ١٤٣)

(٢) فتح الباري (٨/ ٧٣٦)

(٣) المدارج (٢/ ٤١٦)

الملائكة. . . ولكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر.

ومنها قول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة» قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا كانت الملائكة المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت فكيف تلج معرفة الله عز وجل ومحبته وحلاوة ذكره والأنس بقربه في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها؟»[1] .

لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص، مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام، لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال. . . فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة»[2].

وقال: «وهذا حق إذا كان قياساً صحيحاً لا فاسداً، واعتباراً مستقيماً لا منحرفاً»[3].

(١) المدارج (٢/ ٤١٦- ٤١٨)

(٢) المجموع (٦/ ٣٧٧)

(٣) المجموع (٢/ ٢٨)

ولكن التفسير الإشاري المعتبر ينبغي أن تتوفر فيه الشروط الآتية:

١- أن يثبت المعنى الظاهر من الآية.
٢- أن لا يتنافى المعنى الإشاري مع المعنى الظاهر لئلا يفرغ الآية من مقصدها.
٣- أن لا يكون تأويلًا بعيداً سخيفاً كتفسير بعضهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يجعل «لمع» من اللمعان.
٤- أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.
٥- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.
٦- لا يجب الأخذ به، وإنما يستحسن الأخذ به[١].

ولما كانت جميع الآيات المتجاورة قد تعانقت مع بعضها في تأليف محكم تعانق الأليفين المشتاقين؛ وقد يخفى هذا العناق على المتدبر ولا يظهر له وجه المناسبة والوفاق ولا يعرف سبب ورودها في هذا الموضع مع يقينه بارتباط بعضها ببعض جاءت هذه الرسالة لتبين القواعد التي تظهر هذا التعانق ليتضح له وجه المناسبة بين الآيات المتجاورة ويلمس من خلالها شدة ارتباط كل

(١) انظر مناهل العرفان (١/ ٥٤٩)

آية بالآية السابقة لها والتي تليها، وبإذن الله تعالى بتطبيق هذه القواعد يتجلى له أن الآيات المتجاورة قد تعانقت عناق المشتاقين. فمن مارس هذه القواعد تكونت لديه ملكة في معرفة المناسبات، لذا سميتها:

«قواعد العناق لمعرفة ما بين الآيات من التناسب والاشتياق»

معنى الاسم: العناق هو التعانق، وقواعد العناق هي القواعد التي بها يتوصل المتدبر إلى أن الآيات المتجاورة متناسبة أوثق التناسب بل متعانقة تعانق الأليفين، بل لو توقفت عن القراءة عند إحداها لاشتاقت التي تليها إلى أختها لتقرأ معها.

فأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يغفر لمؤلفه ولوالديه ويعفو وكذا لقارئه إنه خير مسؤول وأكرم مأمول.

عدنان عبدالقادر القادري

رمضان ١٤٣٦هـ

أولاً :

معرفة تفصيل القصة التي اختصرت

أحياناً تذكر بعض القصص مختصرة، فمن لا يعرف تفصيلها يصعب عليه التوصل إلى مناسبة الآيات المصاحبة لها. من ذلك:

١- سورة البقرة وتحويل القبلة

في موضوع تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ورد ربع جزء -أي نصف حزب- تكلم الله تعالى فيه عن تحويل القبلة بدءاً من قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ . ثم وردت فيه آيات لا تعرف مناسبتها لتحويل القبلة، من ذلك قول الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ و﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾، ثم قال سبحانه ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ ، فما المناسبة؟

من قرأ علامات نبوة النبي محمد ﷺ عند أهل الكتاب وقرأ قصة الزلزال الذي أحدثه اليهود لما تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة علم مناسبة الآيات المذكورة، وبيانها ما يلي:

إن الصلاة من أعظم شعائر التوحيد، وإن البيت الذي بناه إبراهيم ﷺ هو رمز العبودية لله تعالى في الأرض فاتخذوه قبلة لكم في صلاتكم بدلاً من استقبالكم قبلة اليهود، وستلقون من سفهاء أهل الكتاب هجمة شرسة ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ ، فاصبروا على الحق الذي أنتم عليه فإنكم أمة وسطٌ عدلٌ جمعتم بين القبلتين التي هي من علامات نبوة النبي ﷺ في كتب أهل الكتاب ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ﴾ ، وستشهدون أنتم يوم القيامة للنبي ﷺ بأنه جاء بهذه العلامة وتشهدون بمواقف اليهود وغيرهم في رد هذه العلامة النبوية. فتمسكوا بقبلتكم الجديدة، فإنكم لو تراجعتم عنها لاحتجوا عليكم بعد ذلك بعدم صحة نبوة نبيكم ﷺ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ . إنهم لن يقتصروا على هذا الزلزال الذي أحدثوه بل سيعدون العدة لقتالكم ومعاداتكم

فاستعدوا لذلك واستعينوا ﴿بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ ، واعلموا أنه لا بد للمؤمن من الابتلاء بالخوف والضيق والأذى لاسيما من قبل أهل الكتاب.

إنهم يعلمون علماً تاماً من كتبهم بأن من علامات نبوة النبي محمد ﷺ تحويل القبلة إلى الكعبة التي فيها الصفاء والمروءة ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ ولكنهم يكتمونه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ . فتمسكوا بالكعبة قبلتكم الجديدة التي هي شعار الحنيفية وشعار توحيد الله تعالى وعبوديته ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ ففي ذلك زيادة في محبة الله تعالى التي هي غذاء الروح ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ .

فبمعرفة تفصيل قصة تحويل القبلة لاسيما في دلالة هذا التحويل على نبوة النبي ﷺ في كتب أهل الكتاب يسهل التوصل إلى مناسبة الآيات ببعضها.

٢- آل عمران وقصة إسرائيل عليه السلام

قال الله تعالى ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ﴾ ، فما مناسبة الآيتين ببعضهما؟

لمعرفة المناسبة لابد من معرفة تفصيل قصة ما حرم إسرائيل على نفسه. ذلك أن نبي الله إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً وطال سقمه، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرّمن أحب الطعام والشراب إليه تقرباً إلى الله تعالى وكان هذا سائغاً في شريعتهم وليس سائغاً في شريعتنا، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها، فحرمهما على نفسه.

فتبين أن نبي الله إسرائيل عليه السلام ترك أحب الأشياء إليه تقرباً إلى الله تعالى، فهذه قاعدة أنه لن ينال العبد الدرجات العلى عند الله تعالى حتى يتقرب إلى الله تعالى بشيء من محبوبات النفس وألصقها بقلبه، من ذلك الإنفاق في طاعة الله مما يحبه العبد ويشتهيه كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ وقال ﴿وَيُطۡعِمُونَ

ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ وقال الله تعالى هنا ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ .

فهذه مناسبة ذكر قصة إسرائيل عليه السلام[1] بعد قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

(١) انظر تفسير ابن كثير

٣- سورة الكهف وقصة إبليس

ذكر الله تعالى في سورة الكهف قصة إبليس مختصرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾، فما مناسبتها لما قبلها وهي قصة صاحب الجنتين؟

من قرأ قصة إبليس كاملة تَبَيَّن له أنه استكبر وتعالى على أمر الله تعالى ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ ، وأنه فخر بأصله واحتقر نبي الله آدم عليه السلام وطعن في أصله حيث خلقه الله من طين وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ وقال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ، فرأى بأن مارج النار أعظم من الطين الفاسد ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ . فكان هذا سبباً في زيغه وضلاله. فالفخر بالأصول والأنساب من الفتن التي تفتن الداعي إلى الله تعالى وقد تكون سبباً في ضلاله لاسيما إذا صاحبها الطعن في أنساب الناس.

حينئذ تتبين مناسبة ذكر قصة إبليس في هذه السورة التي تبين الفتن الست التي تواجه الدعاة: أولها فتنة القهر والظلم لذا ذكرت قصة أصحاب الكهف، وثانيها حب الانتساب إلى أهل الشرف وترك الفقراء ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، وثالثها فتنة

الشهوات كقصة صاحب الجنتين، ورابعها فتنة الفخر بالأصل والطعن في أصول الآخرين المتمثلة بقصة إبليس، ثم التحذير من الافتتان بالعلم وهي قصة موسى عليه السلام والخضر عليه السلام وهي الخامسة، ثم فتنة المنصب فذكرت قصة ذي القرنين وهي السادسة.

فبمعرفة تفصيل القصة المختصرة يمكن التوصل إلى مناسبة الآيات ببعضها.

* * *

ثانياً :

معرفة سبب النزول

إن مما يستعان به للتوصل إلى تناسب الآيات معرفة سبب نزول الآية، من ذلك:

١- آل عمران وآية الربا

قال الله تعالى في غزوة أحد ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ﴾ ثم قال سبحانه بعدها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ﴾ ، فما المناسبة؟

في غزوة أحد أصيب النبي ﷺ وشج وجهه وكسرت رباعيته، وقتل من الصحابة سبعون منهم حمزة رضي الله عنه ومثَّل بهم المشركون، فقنت النبي ﷺ يدعو عليهم فأنزل الله تعالى قوله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ .

أما الصحابة رضي الله عنهم فقد قال بعضهم: «لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لَنُرْبِيَنَّ عليهم»[1]. لذا قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) رواه عبدالله بن أحمد في المسند (١٣٥/٥) والترمذي (٣١٢٩) والحاكم (٣٥٩/٢) وحسنه الترمذي وصححه الحاكم والألباني (السلسلة الضعيفة ٢٩/٢ ح ٥٥٠)

لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ . فإذا حرم الربا في الأموال؛ إذ لا يحل للمسلم المرابا‌ة في الأموال بأن يأخذ درهم ربا، فكيف بالدماء؟ تقتل أضعاف مضاعفة مقابل قتل واحد؟ فهذا ربا في الدماء أضعافاً مضاعفة فقال الله سبحانه ﴿لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ .

فبمعرفة سبب النزول ظهرت المناسبة.

٢- النساء وقتل الشبهة

قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ بعد قوله سبحانه ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ ، فما المناسبة؟

ذلك لما رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: «لحق المسلمون رجلاً في غنيمة له، فقال: السلام عليكم. فقتلوه وأخذوا غنيمته، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي تلك الغنيمة»[(١)]. وفي رواية «قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم»[(٢)]. فحذرهم الله تعالى من قتل المؤمن احتجاجاً بشبهة أو لأجل شهوة. فمن قتل لشبهة أو شهوة فقد قتل مؤمناً متعمّداً، فجزاؤه جهنم خالداً فيها، فناسب ذكرها بعد آية قتل العمد.

فبمعرفة سبب النزول تبينت المناسبة.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥)

(٢) رواه أحمد (٢٢٩/١، ٢٧٢، ٣٢٤)

٣- الأنعام وطرد المؤمنين

قال الله تعالى في سورة الأنعام ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ ثم ورد بعدها ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾، فما مناسبة تخصيص الله تعالى لأهل الإيمان بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾؟ إذ الكفار كذلك لو عملوا سوءاً ثم تابوا تاب الله عليهم وغفر لهم ورحمهم؟ فالمغفرة والرحمة المترتبة على التوبة لا تقتصر على فقراء المؤمنين!

وذلك لحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: «اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا». وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1].

ولما رواه عكرمة مرسلاً قال: «جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

---

(١) رواه مسلم (٢٤١٣)

ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك محمداً يطرد عنه موالينا وعبيدنا وعُسَفاءَنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتّباعنا إياه وتصديقنا له. فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بالذي كلموه، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، وإلام يصيرون من قولهم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب يعتذر من مقالته(١).

فمن أيد من المؤمنين تأييداً صريحاً رأي الكفار في طرد ضعاف المؤمنين وفقرائهم رغبة في إسلام أشراف الكفار ثم تاب من بعد تأييده فإن الله يغفر له ويرحمه. فوردت الآية الأولى في فقراء المؤمنين، بينما الآية التي تليها في المؤمنين الذين أيدوا الكفار في طرد فقراء المؤمنين من مجالس أشراف الكفار بين يدي النبي ﷺ.

فبمعرفة سبب النزول تبينت المناسبة.

* * *

(١) رواه الطبري (٢٠٢/٧) عن عكرمة مرسلاً

ثالثاً :

معرفة الحوادث التي واكبت نزول الآيات

إذا لم ترد روايات تصرح بسبب نزول الآية؛ فإن معرفة الحوادث التي نزلت فيها الآيات يسهل معرفة التناسب بينها، من ذلك:

١- خاتمة آل عمران وأهل الكتاب

بعد أن ذكر الله جل جلاله مصير الشهداء لاسيما شهداء أحد في قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ وبعد أن ذكر غزوة حمراء الأسد التي أعقبتها ذَكَرَ الله سبحانه أهل الكتاب وكفرهم وصفاتهم الخسيسة، من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ وكذا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ ثم قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾. فما مناسبة ذكر أهل الكتاب بعد بيان مصير شهداء أحد وغزوة حمراء الأسد؟

من قرأ أحداث غزوة أحد من بدايتها توصل إلى مناسبة ورود تلك الآيات. ذلك أن كعب بن الأشرف اليهودي بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر ذهب إلى كفار قريش يؤلبهم لقتال المسلمين، فجمع كفار قريش حشْدهم وانطلقوا لقتال المسلمين في غزوة أحد، وكذا ظهر نفاق إخوانهم المنافقين كعبد الله بن أبي الذي انسحب بثلث الجيش. فذكر الله تعالى تلك الآيات ليفضح الجميع لاسيما اليهود الذين يدّعون الإيمان بالله وبكتبه وبرسله وليميزهم بخبثهم من خلال مواقفهم الخبيثة ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ ، ويتوعدهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ، ويبين مخازيهم وأنهم قد فعلوا أعظم من هذا الفعل الشنيع؛ فهم الذين ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ ، وهم الذين ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، وهم الذين ﴿يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بل بلغت بهم الخساسة والشناعة أن تجرأوا على الله تعالى فقالوا بسبب بخلهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، وسعوا في قتل الأنبياء ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾، ونبذوا

ميثاق الله تعالى ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ﴾، وهم الذين ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ وغير ذلك من الشناعات، فلا تستغربوا منهم هذه القبائح ولا تستبعدوها.

ولكن اعلموا أن هذه المصائب التي حصلت بسببهم كمصيبة غزوة أحد فيها كنوز كثيرة، فمن كنوزها أن يرى فيها المتبع لرسول الله ﷺ أنها تميزه عن غيره لا سيما المنافق مدعي الإيمان بالله ورسله فإن المصائب تفضح المنافق المستتر بينكم، وكذا المنافق المستتر بدينه كأهل الكتاب ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾. ويرى في المصائب عدل الله تعالى، إذ يستوفي فيها الكافر حقه الدنيوي كاملاً مع ما يلازمه من العذاب الدنيوي والآلام والإهانة ثم الهزيمة والهلاك بسبب كفره. ومن كنوزها أن يفضح فيها البخيل سواء بأفعاله أو بأقواله الشنيعة ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ .

فبمعرفة الحوادث التي واكبت نزول الآيات يمكن معرفة تناسب آياتها.

٢- الأعراف وحشد قصص الأنبياء

جمعت سورة الأعراف مجموعة من قصص الأنبياء باختصار فذكرت قصة نوح عليه السلام فقال الله فيها ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ ولم يقل سبحانه [الذين كفروا] بينما قالها في قصة قوم هود التي ذكرت بعدها، ثم ذكر سبحانه قصة ثمود ولوط وشعيب وختمها بقصة موسى عليه السلام، وذكر في كل قصة شيئاً يميزها. أما يكفي أن تُذكر قصة واحدة فقط تحقق الهدف؟ فما مناسبة ذكرها جميعها؟

هذه السورة مكية، لذا ذكر الله تعالى فيها المراحل التي واجه بها الكفارُ رسلَ الله والتي ستواجه النبي ﷺ، فهي تحكي الأحداث المرحلية التي سيواجهها النبي ﷺ. فمن قرأ سيرة النبي ﷺ في العهد المكي الذي نزلت فيه هذه الآيات تبين له مناسبة ذكر هذه القصص بتسلسلها.

أول هذه المراحل زعمهم أنه ربما ضل الطريق وذلك قبل تكذيبه والكفر به كما في قصة قوم نوح مع نوح عليه السلام لذا قال الله تعالى ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ ولم يقل سبحانه (الذين كفروا)، ثانيها الكفر به واتهامهم له بالسفاهة وتكذيبه كقوم عاد مع هود عليه السلام، ثم طلب الآيات والمعجزات والتعنت والتحدي والتكذيب بالمعجزات كقوم

ثمود مع صالح عليه السلام، ثم إظهارهم الفحش والتفاحش وتجاهلهم الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قصة قوم لوط مع لوط عليه السلام، ثم الإرجاف به وتهديده بالطرد والإخراج كمدين مع شعيب عليه السلام.

لقد كانت عقوبة هاتيك الأمم المكذبة الإهلاك والإبادة، بينما لو آمنوا ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

إن مصدر الأذى الذي يلحق الرسل لا يقتصر على الكفار، بل كذلك مصدره الأتباع الذين يرثون الأرض ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ كحال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، إذ أصاب موسى عليه السلام الأذى من قبل فرعون كالمراحل المذكورة في مواجهة الأقوام الكفار لأنبيائهم، وأصابه الأذى من قبل الأتباع وهم بنو إسرائيل الذين ورثوا الأرض ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ . فهذه المراحل التي ستمر بك في دعوتك.

فبمعرفة الحوادث التي واكبت نزول الآيات يمكن معرفة تناسب آياتها.

٣- الكهف وتسلسل القصص

ما مناسبة تسلسل القصص فيها بهذا الترتيب الذي بدأ بقصة أصحاب الكهف، ثم صاحب الجنتين، ثم إبليس، ثم موسى عليه السلام والخضر عليه السلام، ثم قصة ذي القرنين، ثم قيام الساعة؟

هذه سورة مكية، ومن قرأ سيرة النبي في العهد المكي ثم العهد المدني علم كيف أن هذه السورة تلخص للنبي ﷺ الحوادث والفتن التي سيواجهها؛ وتنبهه للقيام بأمور يحفظ بها تآلف الأمة وسيادتها وقيادتها للعالم.

إذ بدأت بقصة أصحاب الكهف إشارة إلى لجوء النبي ﷺ إلى كهف غار ثور، وأنه سيمكث فيه ثلاثاً بدلاً من ثلاثمائة سنة وأنه سيحرس فيه، وستكون عليه حراسة آمنة، وسيبنى مسجد عظيم بعد خروجه منه وهو المسجد النبوي بدلاً من المسجد الذي بنيَ على قبورهم، «ولعلها تشير إلى أنه سيدخل قبره فيه بعد وفاته لذا حذر النبي ﷺ من اتخاذ قبره عيداً ووثناً يعبد وحذر وهو يحتضر من اتخاذ القبور مساجد».

وأنه سيلازمك في مهاجرك أصحابك الصادقون المخلصون،

فلا تركن إلى أهل الشرف من الكفار وتترك لأجلهم الضعفاء من أصحابك المخلصين ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ فهم أصل دولة الإسلام، ولا ينشغل هؤلاء المهاجرون في أرض الهجرة بالضيعات والبساتين والشهوات فتلهيهم عن الله تعالى كقصة صاحب الجنتين.

واعلموا بأنه سيدخل في هذا الدين مهتدون من قبائل شتى ومستويات متفاوتة فإياكم ودعوى الجاهلية من عصبية قبلية والتفاخر بالنسب واحتقار الأنساب الأخرى والطعن فيها كقصة إبليس الذي أبى أن يسجد لآدم مفتخراً بأصله الجني محتقراً أصل الطين ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ فإن ذلك يمزق الأمة.

ثم ستحصل لكم أمور عظام من خرق للصف وقتل للنفوس ولؤم من قبل بعض أهل المدينة من المنافقين واليهود، فجاءت قصة موسى عليه السلام والخضر عليه السلام وحوادث خرق السفينة وقتل الغلام ولؤم أهل القرية. فهذه الأمور العظام وإن كانت فيها مفسدة ظاهرة فإن فيها مصالح عظمى للدعوة ولدولة الإسلام.

ثم سيفتح الله لكم المشرق والمغرب وما بينهما ويمكنكم فيها كما مكن لذي القرنين، وستبني هذه الأمة بتمسكها بهذا الدين

وتطبيقها له سداً منيعاً يمنع انتشار الفساد كما بنى ذو القرنين سد يأجوج ومأجوج. فإذا ضيعت الأمة حماية هذا السد وهو حماية حرمات الله وتوحيده فإن السد سَيَنْدك دكاً ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ وينتشر الفساد في الأرض ويجئ وعد الله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ .

فبمعرفة الحوادث التي واكبت نزول الآيات المذكورة يمكن التوصل إلى معرفة التناسب بينها.

* * *

رابعاً :

مواضع أخرى من القرآن تبين المناسبة

أفضل ما يفسر القرآن هو القرآن، لذا أحياناً إذا التبست مناسبة الآيات ببعضها فإنك تجد مناسبتها في مواضع أخرى من القرآن. من ذلك :

١- الفرقان ومقام النبي ﷺ

لما استهزأ الكفار بمقام النبي ﷺ في سورة الفرقان ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ دافع الله سبحانه عنه فقال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ثم قال سبحانه ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، ثم جاءت آيات ما كأن لها مناسبة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾، فذكر سبحانه من آياته الكونية الليل والنهار وإرسال الرياح وإنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها وسقيا الناس من الماء. ثم رجع الموضوع مرة أخرى إلى تعظيم مقام النبي ﷺ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا

فِي كُلِّ قَرْيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. فما مناسبة ذكر الآيات الكونية في معرض ذكر مقام النبي ﷺ؟

إن أعمى القلب لا يحسن التفرس في الناس ولو كانت السيما واضحة جلية، فهو في عمى عن رؤية نور النبوة في قسمات وجه النبي ﷺ، وفي عمى عن رؤية الصدق والطهارة في محياه وفي أحواله. إن أعمى القلب أخلاقه سيئة وألفاظه بذيئة، يستهزئ بالعظماء ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾، قائده هواه، لا يسمع ولا يعقل ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ .

إنه لا يعيش إلا في الظل، ويخشى نور الشمس الذي به يرى الناس طريق النجاة وطريق الخير وطرق الشر وبه يفرق بين الحق والباطل، وحينئذٍ يفتضح. فأنت يا رسول الله شمس ونور، وبشروق نبوتك تبين أن الكفار ما هم إلا ظل لا حقيقة له، وبشروقها كشف الله تعالى جهلهم وأظهر عوارهم وفسادهم المنتشر في الأرض الممتد امتداد الظل ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾ . وكلما ظهرت نبوتك وظهر الحق على يديك اندحرت شبههم وتقلص فسادهم وانقبض كانقباض الظل عند ارتفاع الشمس ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾، والعكس بالعكس.

إنه في طريقٍ مظلم اشتدت ظلمته كالليل الحالك السواد، مُلِئ تلبيساً واختلاطاً وشبهة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾ ، طريق ينقطع بسالكه، ولا يوصل إلى المقصود. بينما أنت يا رسول الله شمس العالمين، وما أتيت به غيث؛ فيه نشر للنفوس وبعث لها وبشرى ورحمة وطهارة، وبرسالتك تحيا الأرواح وتسقى النفوس الظمأى ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ .

لذا أكرمناك يا رسول الله فأنزلنا عليك ما تحيا به القلوب وجعلناك نذيراً، ليس فقط لقومك كما هو شأن سائر الأنبياء بل للعالمين أجمع، وهذه الكرامة تميزت بها وخصصت بها دون سائر الأنبياء. فلو شئنا لأجرينا عليك قاعدة بعث الأنبياء «أن كل قرية لها نذير خاص بها»، ولما جعلناك نذيراً عاماً لكل الأمم ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ . فكن مع الله يكن الله معك ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ .

وهذا مذكور في مواضع أخرى من القرآن تبين مناسبة بعض الآيات المذكورة. منها ما قرنه الله تعالى بين إرسال الرياح ونزول المطر وإحياء الأرض بإرسال الرسل وإحياء القلوب

بالوحي الإلهي على أيديهم كما قال سبحانه في سورة الأعراف ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ ثم قال سبحانه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ ، وفي سورة النحل ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ثم قال سبحانه ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ .

وأما كونك شمساً تنير الأرض فقد ورد في سورة الصافات مثل ذلك لما أقسم الله تعالى بأوليائه ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ بين الله تعالى مكانة أوليائه بأنهم زينة الدينا كما أن الكواكب زينة السماء الدنيا فقال سبحانه ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ ، وكما قال سبحانه في سورة الأحزاب واصفاً النبي ﷺ بالسراج المنير وهو الشمس: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ ، وكذا في آخر سورة الفرقان لما ذكر النبي ﷺ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وصفه بالسراج وهو الشمس ووصف أتباعه بالأقمار المنيرة إذ قال سبحانه ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ ثم قال سبحانه ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ، وهذه هي نفس السورة التي ذكرت فيها الآيات

موضع البحث، ووردت بعدها هذه الآيات تأكيداً للمعنى المذكور.

وأما تشبيه ظلمة الكفر بظلمة الليل فكثير في القرآن، من ذلك ما ورد في أول سورة البقرة ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ ، وفي سورة النور ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ .

فبالبحث في مواضع أخرى في القرآن تتبين مناسبة ورود الآيات موضع البحث.

٢- يس والإنفاق

لما ذكر الله تعالى في سورة «يس» جملة من الحجج البينة الظاهرة لإثبات البعث بعد الموت؛ تلك الحجج التي لا يسع القلب الحي إلا وأن يستجيب لها قال سبحانه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾. ثم قال سبحانه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ ثم رجع الموضوع مرة أخرى إلى ذكر أدلة جديدة في إثبات البعث. فما مناسبة ذكر التقوى والإعراض عن الآيات والحجج وقرنها بالإطعام والبعث؟

ورد في سورة الماعون إشارة إلى مثل تلك المناسبة من ربطٍ بين عدم الإطعام وعدم التقوى، والرابط وهو قسوة القلب فهو الأصل الذي يتفرع منه الكفر والقسوة على المساكين.

فقاسي القلب لا حياة في قلبه، فلا يلين قلبه لذكر الله تعالى ولا للحق ولا للحجج كما لا يلين لأحوال الضعفاء والمساكين التي يتقطع لها القلب ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى

يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾﴾ ، وكذا في سورة المدثر ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾، وفي سورة الحاقة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾﴾. فالأصل واحد وهو قسوة القلب، فهو لا حياة فيه ولا يلين بوجه من الوجوه لا للمحبوب ولا للحق ولا للمساكين.

وكذا يقال هنا في سورة يس أن القلوب التي لا تقوى فيها قلوب قاسية لا حياة فيها، فهي لا تلين للحق ولا تلين للحجج الظاهرة الساطعة، بل لا تلين حتى للمساكين الذين تتفطر القلوب لأحوالهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾

فالبحث في مواضع أخرى في القرآن يوضح وجه المناسبة في الآيات موضع البحث.

٣- الممتحنة والمؤمنات

مقصد سورة الممتحنة البراءة من الكفار وعدم موالاتهم وعدم مودتهم. إذ ذكر الله تعالى فيها براءة نبيه إبراهيم ﷺ منهم، وبين فيها أن لا منافاة بين البراءة منهم والإحسان إلى من أحسن منهم فقال سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ﴾. لكن الله سبحانه قال بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ﴾ ثم ذكر أحكام فراق المسلمات من أزواجهن الكفار، فما المناسبة؟

ثم ذكر سبحانه بعد ذلك بيعة النساء للنبي ﷺ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ الآية، فما المناسبة؟

ذكر الله تعالى في سورة المجادلة قبلها أن لا موالاة للكفار ولا مودة لهم ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ وقال سبحانه في التوبة ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ﴾ وقال بعدها ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾، فلا موالاة للمشركين ولو كانوا أزواجاً.

فكذا هنا في سورة الممتحنة بين الله تعالى ذلك، فكما أنه لا موالاة للكفار سواء كانوا أولاداً أو أرحاماً أو آباءً فكذلك لو كانوا أزواجاً. فمن تمام البراءة من الكفار ممن لم يؤمن بكتاب سماوي ومن تمام عدم موالاتهم وعدم مودتهم هو عدم نكاحهم ومناكحتهم. وإذا كانت عقوداً سابقة فهي مفسوخة ولكن بلا ظلم، فردوا إليهم مهور النساء المسلمات اللاتي فارقنهم بسبب هذا الحكم الإلهي، واطلبوا من الكفار مهور زوجاتكم الكافرات بعد مفارقتكم لهن. وإن قصروا في رد المهور فتقاصُّوا منهم في أقرب فرصة وأقرب غنيمة، فوردت آيات مفارقة الأزواج الكفار والكافرات.

إن المؤمنات في مصاف الرجال الكُمّل، فهن خير من أضعافهن من الرجال الكفار ولو كانوا آباء أو أبناء أو كانوا من أشراف الكفار، فموالاتهن خير من موالاة وموادة أشراف الكفار، فهن أولى بالبيعة والاستغفار لهن ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ﴾ .

فتبين أن البحث في مواضع أخرى في القرآن يوضح وجه المناسبة في الآيات موضع البحث.

❋ ❋ ❋

خامساً :

معرفة الأحاديث والآثار الواردة عن السلف في موضوع الآية

١- سورة البقرة وآيات الصيام

وردت آية الوصية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ثم وردت بعدها آية فرض الصيام ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، ثم في آخر آيات الصيام قال سبحانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ .

فما المناسبة بين هذه الثلاثة: آيات الوصية ثم الصيام ثم أكل أموال الناس بالباطل؟

إن مما يدنس الصوم الأقوال والأفعال المحرمة، ومن أعظمها قول الزور وعمل الزور. لذا حذر الله سبحانه العبد من قول الزور وشهادة الزور قبل آية الصيام ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾. فإذا ما استأمن الموصي وصياً على أمواله فأقدم الوصي فبدل الوصية بعد أن فارق الموصي الحياة

فشهد بالاستحقاق لمن لم يستحق، أو شهد للمستحق بأنه لا يستحق محاباة لبعض الأقارب ليأكلوا المال المحرم بشهادته فحينئذٍ يكون قد شهد زوراً، لذا حذر الله تعالى من قول الزور قبل آية الصوم.

وبشهادة الزور ترفع القضية إلى الولاة ليحكموا طبقاً لشهادة الزور ليقتطع المال المحرم لنفسه بقضاء القضاة والحكام وهذا عمل الزور فقال سبحانه ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ﴾، فذكر الله تعالى عمل الزور بعد آية الصيام.

فإذا لم يكن للصوم أثر في الامتناع عن قول الزور ولا عن العمل به فليعلم حينئذ أن الصوم لم يحقق غايته من الطهارة ولم يفز بالاختبار والتقوى المطلوبة، لذا قال النبي ﷺ في حق الصائم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[١]. فليجعل صومه تاماً خالصاً من الشوائب.

فالحديث النبوي بين مناسبة الآيات ببعضها.

(١) رواه البخاري

٢- الأعراف وقصة نوح عليه السلام

قال الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ﴾ ثم قال سبحانه ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ ثم قال سبحانه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ ، فما مناسبة ذكر قصة نوح عليه السلام؟

ذلك لأن من الناس أرضاً طيبةً قبلت الرسالة الإلهية وسقيا مائها فاهتدت بها وتعلمت وعلّمت فأثمرت من كل الثمرات، ومنهم أرض خبيثة نكدة لم تقبل الرسالة ولم تهتد بها، ومنهم من يتفاوت بين الصنفين. وقد وضح لنا نبينا محمد ﷺ هذه المناسبة بقوله «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، وشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً. فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم

يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1]. فالأرض التي لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً أرض خبيثة، بينما الأوليين هما الأرض الطيبة.

فبين النبي ﷺ في الحديث المناسبة بين الآيات المذكورة.

(١) رواه البخاري ومسلم

٣- النحل والسبت

قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ ثم قال سبحانه بعدها ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ ، فما المناسبة بينهما؟

إن الله تعالى شرع في كل ملة يوماً من الأسبوع يجتمع فيه الناس للعبادة وإظهار شعائر الدين الحنيف، وهذا اليوم هو من أعظم الشعائر. فشرع الله تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة لأنه اليوم السادس الذي أكمل الله فيه الخليقة واجتمعت فيه وتمت النعمة على عباده. وإن الله تعالى قد شرع ذلك لبني إسرائيل على لسان نبي الله موسى عليه السلام، فاختلفوا فيه فعدلوا عنه واختاروا السبت، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ قال مجاهد: اتبعوه وتركوا الجمعة.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتو الكتاب من قبلنا. ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد».

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة. نحن الآخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة، والمقضى بينهم قبل الخلائق». رواه مسلم[(١)].

فبين النبي ﷺ أنهم لما اختلفوا فخالفوا ملة إبراهيم ﷺ أضلهم الله تعالى عن سبيل البركات الإلهية؛ من ذلك اختيار يوم السبت بدلاً من يوم الجمعة المبارك. فكل من لم يتبع ملة إبراهيم عليه السلام وخالفها سواء من فرد أو أمة أضله الله تعالى وجعل فيهم الاختلاف والافتراق وحرمان البركات الإلهية كما حصل لبني إسرائيل لما خالفوا ملة إبراهيم ﷺ ، فهذا هو وجه المناسبة.

فالحديث النبوي بين وجه المناسبة بين الآيات المذكورة.

* * *

(١) المناسبة منقولة من تفسير ابن كثير بتصرف يسير

سادساً:

معرفة مقصد السورة

بمعرفة مقصد السورة يمكنك التوصل إلى معرفة علاقة الآية بمقصد السورة، وكذا الآية التي تليها التي لم تعرف مناسبتها للأولى يمكنك ربطها بمقصد السورة، حينئذٍ يسهل عليك التوصل إلى المناسبة بين الآيتين لمعرفتك ارتباط كل منهما بمقصد السورة.

١- سورة الأنبياء وقصصهم

وردت مجموعة متوالية من قصص الأنبياء فيها «إبراهيم، لوط، نوح، داود، سليمان، أيوب، إسماعيل، يونس، زكريا، عيسى» عليهم السلام، فما مناسبة ورودها؟ ألا يكتفي بقصة واحدة تحقق المقصد؟ ولماذا بهذا الترتيب؟

إن مقصد سورة الأنبياء سياق الحجج لإثبات البعث إذ كان كفار العرب يستبعدون البعث. ولما كانت المخلوقات المكلفة المحاسبة يوم القيامة هم الجن والإنس؛ والجن مخلوقون من نار، والإنس مخلوقون من ماء وتراب الذي به تكون الطين ثم هواء جففه ثم روح نفخت فيه؛ ذكرت هذه الأصول مرتبة، وأنها كلها تحت أمر

الله وقدرته فلماذا يستبعدون البعث؟

فلما كانت الجن خلقت قبل الإنس بيّن الله تعالى بقصة إبراهيم عليه السلام أن النار خاضعة لأمر الله تعالى ﴿يَـٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ولكن ليتم الانتقال من النار كما في قصة إبراهيم إلى الماء كما في قصة نوح عليه السلام وهما متضادان ذَكَرَ الله تعالى قصة قوم لوط الذين أهلكهم الله تعالى بالإثنين بالشهب النارية والماء تمهيداً لذكر قصة نوح عليه السلام بل وبالحجارة تمهيداً لذكر قصة داود عليه السلام.

ثم بين بقصة نوح عليه السلام لما أغرق قومه الكفار بالماء والطوفان الإلهي العظيم أن الماء خاضع لأمره سبحانه ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾. ثم بين بقصة داود عليه السلام أن أصل التراب والصخور تحت أمره ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾. وبين سبحانه بقصة سليمان عليه السلام أن أصل الهواء والذي أشده الريح العاصف تحت أمره سبحانه ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ .

وأما أصل الروح فقد فصلها الله تعالى تفصيلاً دقيقاً جميلاً مبيناً

أنها مأمورة لعظمته. فبداية خروج الروح عند عامة البشر تكون بالأمراض المستعصية لتخرج بعدها، لكن إذا الله تعالى لم يأذن لها بالخروج فلن تخرج مهما استعصت الأمراض كقصة أيوب عليه السلام ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرࣲّۖ﴾ .

وقد تكون المرحلة متقدمة بأن يصدر فيه حكم ملكي قضائي بالإعدام والقتل، فيوضع على عنقه السيف، ويصعب أن يحدث تراجع في هذه اللحظة. ولكن إذا أراد الله تعالى له الحياة فإنه يبدل الأحوال، كإسماعيل عليه السلام الذي وضعت السكين على رقبته ولكن الله تعالى لم يشأ له الموت ولم يشأ للروح أن تخرج فأنزل العفو الإلهي والملكي ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلࣱّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥﴾ .

والمرحلة الأشد في خروج الروح أن يلقى بين فكي الأسد، وبالرغم من ذلك إذا لم يشأ الله تعالى للروح أن تخرج فلن تخرج. كقصة يونس عليه السلام الذي التقمه الحوت، فدخل في ظلمة بطنه ولكن الله تعالى لم يأذن لروحه بالخروج فلم تخرج ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿...فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ (٨٧) .

هذا تفصيل في خروج الروح، فإذا لم يشأ الله تعالى لها الخروج من الجسد فلن تخرج، فأصل الروح تحت تدبير الله تعالى.

وكذا في دخولها للجسد. فهذا زكريا عليه السلام؛ نطفته لا حياة فيها، ونطفة زوجته لا حياة فيها وهي شابة عاقر فكيف بعد ما كبرت؟ ولكن شاء الله تعالى أن يبث فيهما الحياة والروح، فدخلت فيهما الروح، فأحيا الله تعالى النطفتين، فرزقا بمولود لم تُتَوقع له الحياة، ولا يُتَوقع أن يحيى فسمي **يحيى** ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ .

والأشد والأعظم في بيان القدرة الإلهية أن النطفة الأنثوية والتي صبغتها الوراثية (X) كيف يتكون منها مولود ذكر صبغته الوراثية (Xy)؟ أنى تأتي الصبغة الوراثية (y) إلى النطفة الأنثوية دون أن تلقح بنطفة ذكرية؟ وزيادة في الإعجاز أن نفخت الروح في هذه النطفة المعجزة! ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٩١)﴾ .

فهذه الأصول الستة: النار والماء والتراب والهواء والروح التي

خلق منها الجن والإنس زد عليها المادة الوراثية، كلها تحت إمرة الله تعالى وتدبيره، ألا يستطيع أن يعيد خلق الجن والإنس منها مرة أخرى؟!

فبمعرفة مقصد السورة يتبين التناسب بين الآيات.

٢- القَسَم بالتين والزيتون

لماذا أقسم الله تعالى في سورة التين بهذه المذكورات «التين، الزيتون، الطور، البلد الأمين»؟ ما المناسبة بينها؟

مقصد سورة التين البيان بأن الناس معادن والنفوس ألوان، تكشفها وتجليها المصائب، ويصقلها الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح.

فمن النفوس نفوس مباركة؛ منها ما حلاوتها كحلاوة التين، وأخرى نقية صافية وضيئة كنقاوة زيت الزيتون وضيائه، وثالثة قوية ثابتة كثبات الطور، ورابعة نفوس آمنة مطمئنة كالبلد الأمين ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ ، وقد تجتمع هذه الصفات في نفس واحدة.

ومن حكمة الله تعالى أن خلق الإنسان في أعدل قامة وأحسن صورة، وكمّله بالعقل، ويسّر له طريق العلم والمعرفة والإرادة والتدبير والحكمة والكلام، وفطره على التوحيد، وطبع فيه غرائز، وجعل له من الصفات والأدوات ما يمكّنه من تقويم نفسه وبلوغ تلك المراتب العلى مراتب النفوس المباركة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ

﴿أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ .

فمن أحسن استغلال هذه الغرائز وأحسن تقويمها بالإيمان والعمل الصالح أعانه الله تعالى وجمع له تلك المزايا والبركات، وبلّغه مرتبة النفوس المباركة ونال أحسن تقويم، وتوالت عليه العطايا والمنح بلا انقطاع ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ ، فمن مستكثر ومستقل. ومن أساء تقويمها فَقَدَ تلك المزايا وسقط وتهاوى ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ .

فهل يوجد بَعدُ حَكَمٌ عَدْلٌ أحكم من الله تعالى؟ ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ .

فبمعرفة مقصد السورة أمكن التوصل إلى معرفة مناسبة تخصيص ذكر المقسم به في مستهل السورة.

٣- المائدة وآية الوصية

ما مناسبة ورود آية الوصية ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ ثم لحقها قول الله تعالى ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ ؟

مقصد سورة المائدة هو أخذ ميثاق الله تعالى على الناس للالتزام به ودعوة الناس إليه. فذكر الله تعالى آية الوصية آمراً عباده فيها أن حافظوا على ميثاق الله تعالى وتمسكوا به وادعوا الناس إليه، واجعلوه وصيتكم لأبنائكم وذويكم، ووثقوا هذه الوصية بالإشهاد عليها. فإذا كان المحتضر حريصاً على وصية المال، فمن باب أولى أن يحرص المرء على وصية الدين وميثاقه مع الله تعالى فيشهد عليها ويوثقها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ .

واعلموا أن الله تعالى سيسألكم عن هذا الميثاق، بل وسيسأل الرسل والدعاة الذين بعثوا فيكم عن مدى قيامهم ببيان هذا الميثاق الإلهي ومدى استجابة الناس لهم ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ .

فبمعرفة مقصد السورة وارتباط كل آية موضع البحث بمقصدها يسهل التوصل إلى التناسب بينها.

❊ ❊ ❊

سابعاً:

معرفة المحور الذي سيقت له الآيات

أحياناً تقرأ آية أو جملة من الآيات فتراها بعيدة كل البعد عن الموضوع الذي سيقت له الآيات السابقة لها، ولكن يمكنك التوصل إلى المناسبة إذا ما حددت المحور الذي سبق الآيات المبحوثة. من ذلك:

١- الشورى وهبة الأولاد

قال الله تعالى في آخر سورة الشورى ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ﴾ ثم قال بعدها: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ﴾، فما المناسبة؟

المحور الذي سيقت له الآيات هو الاستجابة لشريعة الوحي، فقد أمر الله تعالى العباد بالاستجابة لشريعة الوحي الإلهي، وذكر الله تعالى أصناف الناس في استجابتهم لشريعة الوحي الإلهي.

فالصنف الأول هو الذي استجاب لها ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ فأصبحوا قادة، ففضّل الله تعالى استجابتهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الآيات. وهذا الصنف درجات: فمنهم من يجازي السيئة بالمثل، ومنهم من يتعامل بالرحمة فيعفو، ومنهم من يصلح، ومنهم من يظلم بعض الشيء ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ ، ومنهم من يكون جلداً قوياً رحيماً فيصبر ويغفر وهذا في أعلى الدرجات ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ .

والصنف الآخر لم يستجب لشريعة الوحي ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ . لذا ختمت تلك الآيات بدعوة مُلِحَّة للاستجابة لشريعة الوحي العظيمة ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ .

وليعلم من أعرض عنها بأن الرسول ﷺ وأتباعه الدعاة ليسوا مسؤولين عنهم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ . فأنت يا رسول الله غير محاسب على كفرهم، إنما عليك البلاغ والبيان، فلا تحمل نفسك مسؤولية إعراضهم ولا

كفرهم، لأننا نعلم أن طبيعة الإنسان الكفران ونكران الجميل إلا القليل ممن أكرمه الله بالشكر ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ .

واعلم أن الله تعالى قادر على هدايتهم، إذ له القدرة التامة على كل شيء؛ فكما أنه له القدرة التامة على تدبير شؤون الخلق فكذا له القدرة التامة على هدايتهم، ولكن لا يهديهم إلا بما يتناسب مع علمه بهم؛ فيكرم من يشاء بالهداية والاستجابة وهم الذين فتحوا قلوبهم لمعرفة الحق ويجعلهم درجات بفضله؛ ويخذل من يشاء بعدله وهم الذين أغلقوا قلوبهم عن معرفة الحق.

فكما أن الله سبحانه لكمال قدرته يقِّدر لمن يشاء الذكور والإناث فيكرم من يشاء بالذكور لما يتميزون به من القوة، ويكرم آخرين بالإناث لما يتميزن به من الرحمة واللطافة، ويجمع لآخرين الذكور والإناث، ويمنع آخرين من أي منهم لكمال علمه بما هو خير لكل منهم ومن هو أهل لذلك ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾، فكذلك الهداية. فالله سبحانه لكمال علمه وقدرته يكرم

من يشاء بالهداية والاستجابة لشريعة الوحي ليأخذوها بقوة، وآخرين ليأخذوها برحمة ولطف وحنان، بينما آخرون يجمع لهم الكمال فيها فيجمع لهم القوة والرحمة واللطف والحنان في أخذهم شريعة الوحي؛ ذلك إذا فتحوا قلوبهم لمعرفة الحق. بينما يمنع آخرين من هذه الكرامات لكمال علمه بهم وحكمته البالغة لعدم أهليتهم بسبب إعراضهم عنها ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ .

ولكمال علوه سبحانه وحكمته فإنه يختار من بين هؤلاء من يصطفيهم للنبوة ليرقيهم ويعلي مقامهم إلى أكمل والمقامات وأتمها فيسلمهم القيادة وذلك بالإيحاء إليهم لتبليغ شريعة الوحي، وهم الأنبياء سادة البشر. بل حتى هؤلاء الأنبياء القادة درجات ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ ، كل ذلك لكمال حكمته. فلا يمنح إلا لحكمة بالغة، ولا يمنع إلا لحكمة بالغة، فلا يجمع بين مختلفين ولا يفرق بين متماثلين.

وأنت يا رسول الله قد اصطفاك الله تعالى لتكون سيد هؤلاء القادة، وسيد الأنبياء والرسل، صاحب اللواء، وقد أكرمناك بأفضل شريعة وأكرمها على الله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا

كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا﴾ .

فسيقت آيات هبة الذكور والإناث في محور بيان مراتب الناس في استجابتهم لشريعة الوحي.

فيمكنك التوصل إلى مناسبة الآية لما قبلها **إذا ما حددت المحور الذي سيقت له الآيات السابقة لها.**

٢- خاتمة النساء وآية الكلالة

في آخر سورة النساء بيّن الله تعالى كمال وحدانيته ونفي الشريك عنه سبحانه، وبّين أن أكمل الخلق هم أكمل الناس عبودية لله تعالى كالرسل والملائكة ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ﴾، ثم ذكر جزاء الموحدين ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾، ثم فجأة تلتها آية ميراث الإخوة ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ الآيــة! فما المناسبة؟

إن المحور الذي سيقت له الآيات فيه بيان أن جميع الأنبياء والرسل موحدون لله تعالى ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ . فالأنبياء من بني آدم كلهم أمة واحدة، جماعة واحدة، عائلة واحدة متآلفة تحت راية واحدة وهي عقيدة التوحيد. بل إن جميع الأنبياء إخوة لعلات، أنت سيدهم وخاتمهم، فأنت المقدم بشهادة الله تعالى وشهادة الملائكة ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ

﴿إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ .

إنهم عائلة واحدة لكمال عبوديتهم لله وحده، لا نسب بين أحد منهم وبين الله تعالى كما يزعم النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام، إنما هو عبد لله تعالى. كذلك الملائكة عبيد لله تعالى، لا نسب بينهم وبين الله تعالى كما يزعم مشركو العرب من وجود النسب بين الله تعالى وملائكته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ .

وكما أن الأنبياء جميعهم إخوة لكمال عبوديتهم لله تعالى فكذلك أنتم جميعكم إخوة في عبوديتكم لله وحده، فكونوا أمة واحدة، لحمة واحدة، معتصمين بالله تعالى وحده ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾. بل أنتم والأنبياء أمة واحدة، وعائلة واحدة، تنتمون إلى أصل واحد وعقيدة واحدة.

إن الإخوة لعلات الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتى يرث كل واحد منهم أخاه. فلما كان الأنبياء إخوة لعلات كما قال النبي ﷺ «الأنبياء أولاد عِلّات» عقيدتهم في الله واحدة وشرائعهم شتى، فإنه يرث كل نبي النبوة من أخيه النبي كما يرث الأخ أخاه في النسب.

ولما كان النبي محمد ﷺ أخو الأنبياء وقد بعث بعدهم فهو وحده الذي يرث النبوة من جميع الأنبياء قبله وينسخ شرائعهم، ولا ناسخ لشريعته. لذا ذكر الله تعالى آية ميراث الأخوة بعد الآيات السابقة فقال سبحانه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ﴾ .

فتآخوا على عقيدة التوحيد التي جاء بها النبي محمد ﷺ عقيدة الأنبياء وتآلفوا على الأصول الثلاثة وتمسكوا بهذه الشريعة وأحسنوا التعامل فيما بينكم لتكونوا أمة واحدة، وأسرة متحابة مترابطة، ذات أخلاق سامية فكلكم إخوة ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ .

فسيقت آية ميراث الأخوة في محور وراثة نبينا محمد ﷺ النبوة وعقيدة التوحيد من إخوانه الأنبياء.

فيمكنك معرفة تناسب الآيات **بمعرفة المحور الذي سيقت له الآيات السابقة لها.**

٣- آية الكرسي وقصتي إبراهيم عليه السلام

ومن المناسبات الغريبة أن وردت آية تأمر بالإنفاق ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ وتلتها آية الكرسي ثم ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ ثم قصة إبراهيم الخليل ﷺ مع النمروذ ثم قصة عزير ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ثم قصة إبراهيم ﷺ مع الطير، ثم رجع موضوع الإنفاق مرة أخرى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ ، فما المناسبة؟

إن المحور الذي سيقت له هذه الآيات هو الجهاد بالمال لتحقيق المقصد الأعلى من الخلق وهو إقامة التوحيد في جميع أنحاء الأرض ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾، مع التأكيد على عظمة الله تعالى للبيان بأن الله تعالى غني عنكم وعن إنفاقكم وعن أموالكم فهو ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، فوردت في مقام الدعوة إلى الإنفاق أعظم آية في كتاب الله تعالى وهي آية الكرسي تبين كمال عظمة الله وغناه عن العباد وعن أموالهم.

إذا تحقق مقصود الجهاد، وأزيحت الطواغيت التي تمنع وصول عقيدة التوحيد إلى عامة الشعوب غير المسلمة حينئذ لا تكره أحداً

على الإسلام ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، إنما ادعهم بالحجج العقلية المنطقية وبالتخلق معهم بالأخلاق السامية دون سب وشتم كقصة إبراهيم ﷺ مع النمروذ. فلا تستبعد أن يحيي الله قلب الكافر بالإيمان مهما بلغ في كفره، فكما أن الله تعالى قادر على إحياء الأجساد الميتة في هذه الدنيا الذي مشاهدتنا له نادرة كما في قصة عزير وحماره ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾ فهو قادر على إحياء القلوب الميتة بالإيمان الذي مشاهدتنا له أكثر.

ولكن ما هي صفة العبد الذي يحيي الله قلبه بالإيمان ويسمو به في الدرجات العلى، سواء كان مؤمناً أم كافراً؟ هو ذاك الذي يسعى في طلب الحق لاسيما إذا كان باحثاً عن أعلى مراتبه، كما في قصة الخليل ﷺ لما سعى في طلب الزيادة في الإيمان وطلب أعلى درجات اليقين في معرفة قدرة الله على إحياء الموتى زاد الله تعالى قلبه حياةً وزاده إيماناً واطمئناناً ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾. أما من أغلق على نفسه هذا الباب وأغلق قلبه عن طلب الحق والبحث عنه فلن يهديه الله تعالى.

فإذا تساءلت كيف يمكن أن أجعل الكافر يسعى باحثاً عن الحق؟

يمكنك ذلك عن طريق دعوته ببذل المال له بالهبات والهدايا

والدعوة للوليمة والطعام وغير ذلك من طرق بذل المال، فإن الله تعالى بنفقتك له ينبت في قلبه سبع سنابل، لتضاعف إلى سبعمائة سنبلة، كما يضاعف لك حسناتك إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة بهذا البذل ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾.

فسيقت آية الكرسي وعدم الإكراه وقصة إبراهيم عليه السلام مع النمروذ وقصة عزير وقصة إبراهيم عليه السلام مع الطير في محور الجهاد بالمال في سبيل الله لنشر كلمة التوحيد ورفع رايته.

فبمعرفة المحور الذي سيقت له الآيات السابقة للآية موضع البحث يمكنك التوصل إلى المناسبة بينها بإذن الله تعالى.

* * *

ثامناً:

التعليق بعد كل محور

مما يحير المتدبر لكتاب الله تعالى تكرار نفس الموضوع أو ما يقاربه في عدة مواضع من السورة نفسها، مما يجعله يقف صافناً حائراً في معرفة مناسبة تكراره في تلك المواضع، ألا يكتفي بذكره مرة واحدة؟ ذلك لأنه يذهل أن الله تعالى غالباً ما يذكر تعليقاً بعد كل محور، فمثلاً قد يكرر الله تعالى ذكر العقوبة الإلهية في نفس السورة، فإذا تأمل القارئ وجد أن الله تعالى ذكر بعد كل محور من هذه المحاور عقوبة الإعراض عن هذا المحور أو عقوبة جريمة كل محور من المحاور المذكورة. أو قد يجد تكرار ذكر وحدانية الله تعالى واستحقاقه لعبادته وحده! ذلك لأن كل محور من المحاور يعتبر حجة بنفسه يدل على توحيد الله تعالى واستحقاقه لأن يعبد وحده، أو أن كلاً منها يعتبر نعمة مستقلة يستحق منعمها أن يوحَّد بالشكر ويفرَد بالعبادة، فتكررت الإشارة بعد كل محور منها زيادة بيان وتحذير. من ذلك:

١- النحل وتنوع النعم

في هذه السورة ذكر الله تعالى تسعة أنواع من النعم التي أنعم الله بها على عباده مما يستحق بها شكره بعبادته وحده لكنهم قابلوا كل نعمة بالشرك والكفر.

أولها

أصول النعم. فأعظم هذه الأصول التي تستحق الشكر؛ وأعلاها إرسال الرسل وإنزال الكتب الإلهية لهداية الناس ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ ، ثم خلقُ العالم العلوي والسفلي، وخلق الإنسان والأنعام والمراكب، وإنزال الماء، وتسخير الليل والنهار والأفلاك، وخلق البحار والجبال والأنهار والطرق ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ ، وما تضمن كل منها من المنافع.

ومن أصول النعم ضبط ما سبق بالقوانين السماوية والأرضية الثابتة والضابطة للكون ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ .

ولكنهم قابلوها بالشرك بالله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ، وقابلوها بالاستكبار والمكر

والاحتجاج بالقدر على شركهم، وبالتحدي ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ . وقابلوها بالاستخفاف بالرسل وأتباعهم وإيذائهم، وبنسبة البنات إلى الله تعالى ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ . إن كل جريمة من هذه الجرائم حجتهم فيها ضعيفة مردود عليها، وسيجازون بعقوبة أليمة على كل منها على حدة ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ .

ثانيها

التلذذ بلذائذ النعم والطيبات. إذ أنعم الله عليهم بلذائذ الأشربة من ماء ولبن ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾، وخمر وعصائر وعسل. ومن لذائذ النعم إطالة الأعمار ليستكملوا اللذة، والتلذذ بكرائم الأموال والأزواج والأولاد والأحفاد وجميع الطيبات. فقابلوها بالكفر والجحود وعبادة من لا يملك شيئاً من الرزق ولا يستطيع الوصول إليه ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣﴾ .

ثالثها

الإنعام بأصول القوى ومراكزها في الإنسان التي يحيى بها ويتصرف بمقتضاها. كالقدرة على حسن التصرف والتدبير، والقدرة على الكلام، والفهم والعقل والاتزان والمروءة، وقوة السمع والبصر والمشاعر ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ ، والقدرة على الملاحظة والتفكر والاستنباط وتعلم القوانين الكونية الضابطة لسير المخلوقات في الكون ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ . فقابلوها بشكر الآلهة الباطلة الصماء البكماء الخرقاء التي لا تملك شيئاً من هذه القوى؛ المؤذية لعابديها ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ .

رابعها

نِعَم التجمل ووسائل الراحة والاستجمام والاستمتاع بالحاجيات والمحسنات، كنعمة السكن ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ ونعمة الأثاث والاستظلال واللباس. ولكنهم قابلوها بالتولي والتنكر والكفر والظلم والصد عن سبيل الله ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ .

فتكرر ذكر شركهم وعقوبتهم تعليقاً بعد كل محور من محاور النعم التي تقتضي شكر الله بتوحيده وعبادته وحده.

٢- سورة محمد ﷺ

تكرر في سورة محمد ذكر إحباط العمل ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ، وضياعه ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ . فما المناسبة؟

ذلك أن الله تعالى ذكر في السورة أسباب الخذلان والتي قد يصاحبها إحباط الأعمال وضلالها وعدم نفعها. فذكر الله تعالى أصل الخذلان وإحباط الأعمال وضلالها وهو الكفر والصد عن سبيل الله تعالى واتباع الباطل ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾ .

ومن أسباب الخذلان وهو محبط للعمل كراهة ما أنزل الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾ .

ومن أسباب الخذلان وهو محبط للعمل الإفساد في الأرض وقطيعة الأرحام ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ والارتداد عن الدين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ والنفاق ومخادنة الكفار على الإسلام ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ وكراهة رضوان الله تعالى، ومِلاك ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ

﴿أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ .

ومن أسباب الخذلان وهو محبط للعمل مشاقة الرسول ﷺ ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ .

ومن أسباب الخذلان وهو محبط للعمل الابتداع في الدين وعدم الاهتداء بهدي النبي ﷺ في العبادة، فكيف تقبل قربة لم يشرعها الله تعالى على يد نبيه محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ .

فمناسبة تكرار إحباط العمل هو كون المذكور سبباً في إحباطه، **فتكرر ذكر إحباط العمل تعليقاً بعد كل محور من محاور الخذلان.**

٣- سورة الفتح

تكرر في سورة الفتح ذكر الثواب لمن أطاع الله تعالى وأطاع رسوله ﷺ، وتكرر ذكر العقاب لمن خالف أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ، فما المناسبة؟ وما الحكمة؟

ذلك أن الله تعالى كلما ذكر صورة من صور نصرة النبي ﷺ ذكر ثوابها، وذكر عقوبة من أعرض عن نصرته ﷺ في تلك الصورة. فذكر الله تعالى موقف الصحابة رضي الله عنهم من النبي ﷺ لما وقَّع مع قريش صلح الحديبية الذي يتضمن بنوداً أثارت حفيظة الصحابة رضي الله عنهم ولكنهم تابعوا النبي ﷺ فيها، فذكر ثوابهم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، وذكر عقوبة المنافقين الذين أعرضوا عن نصرته حينئذٍ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ .

ولما ذكر موقفهم من بيعة الرضوان قبل أن يعقد الصلح قال سبحانه ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

ولما ذكر خروجه ﷺ لعمرة الحديبية وتخلف المنافقين عنه خوفاً من القتال وإعراضاً عن نصرته ﷺ وتذرعوا بانشغالهم بأموالهم

وأهليهم قال سبحانه ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ .

ولما ذكر خروجه ﷺ إلى خيبر لقتال اليهود وموقف الصحابة والمنافقين منه قال سبحانه ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

ثم شمل كل ما سبق من المواقف بإعذار أصحاب الأعذار الحقيقية، وذكر جزاء من أطاع النبي ﷺ فيها ونصره، وذكر عقوبة من تولى عن متابعته ﷺ فقال سبحانه ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ .

فذكر الله سبحانه **بعد كل محور من المحاور تعليقاً بين فيه ثواب من نصر النبي** ﷺ وعقوبة من خذله.

* * *

تاسعاً:

معرفة محاور السورة

أحياناً لا تجد تناسباً بين مجموعتين من الآيات، ولكن إذا حاولت التعرف على محاورها وجدت أن كل مجموعة تمثل محوراً يحقق مقصد السورة. لذا فالتعرف على محاورها والبحث عنها يسهل عليك معرفة مناسبتها لما قبلها وما بعدها، من ذلك:

١- الأحقاف والوصية بالوالدين

قال الله تعالى في سورة الأحقاف عن القرآن ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ ثم ذكر جزاءهم، ثم قال سبحانه ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾ ، فما المناسبة؟

إن مقصد السورة بيان إعراض الكفار عن الرسالة الإلهية بشتى أنواع الإعراض، فمحاورها تدور حول الإعراض. فمن محاورها أنهم أعرضوا عن الأخذ بشهادة أصدق الشهود على صحة التوحيد، فأجلّهم شهادة هو الله تعالى ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ﴾، ثم شهادة الرسل، وشهادة علماء بني إسرائيل الصادقين،

وشهادة الكتب الإلهية السابقة، وشهادة القرآن المعجز ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ ، فهذا محور من محاور الإعراض.

ومن صور إعراضهم أنهم أعرضوا عن التحلي بالمروءات التي تقتضيها النفوس الطيبة والعقول السليمة والسجايا الفطرية، وعلى رأسها ذكر جميل من أحسن إليك وشكره.

ألا تستحسن النفوس ذكر جميل الوالدين؟ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ .

ألا تستقبح النفوس أشد الاستقباح من أنكر جميلهما، وجحد صنيعهما، وتأفف منهما ومن أقوالهما كما يتأفف من رائحة الأقذار؟

فكيف بمن أعرض عن شكر جمائل الله تعالى وأياديه عليه ونعمه السابغة، وقابلها

بالجحود والكفر والشرك والاستكبار عن عبادة الله وحده؟ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ، فهذا محور آخر من محاور الإعراض عن الرسالة الإلهية.

فإذا تعرفت على مقصد السورة وهو بيان صور إعراض الكفار عن الرسالة الإلهية **وتعرفت على محاورها** سهل عليك حينئذ معرفة التناسب بين آياتها، إذ كل مجموعة منها تمثل محوراً من محاورها، والتناسب بين المحاور ظاهر في تحقيق مقصد السورة.

٢- الحجرات والوشاية

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ ثم قال سبحانه ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ ، فما المناسبة؟

إن مقصد سورة الحجرات التحذير من الآفات اللسانية مع الكبار والخاصة والعامة، والدعوة إلى التأدب بالآداب اللسانية. فعند التأمل للتعرف على محاور السورة يتبين أن استدعاء الشخص لاسيما إذا كان من الأشراف الكبار وهو منشغل بأهله ورفع الصوت عند بيته ليخرج إليه مما يخالف الآداب اللسانية. بل لا يصح رفع الصوت بين يديه ولا من وراء الستور، فكيف باستدعائه وهو منشغل بأهله ورفع الصوت باستدعائه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ ، فهذا محور.

ومن آفات اللسان نقل الأخبار بين المسلمين قبل التبين من صحتها لاسيما الأخبار السيئة ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، وإلا كانت وشاية قد تؤدي إلى سفك الدماء بين المسلمين ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ ، وتؤدي إلى بغي بعضهم على بعض، وتفسد الخلة والأخوة.

فلما عرفت مقصد السورة وهو التحذير من الآفات اللسانية **وتعرفت على محاورها** سهل عليك معرفة التناسب بين آياتها التي تمثل كل مجموعة منها محوراً من محاورها .

٣- العنكبوت والهجرة

قال الله تعالى ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ثم قال سبحانه ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ثم بعدها ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ، فما المناسبة بينها؟

مقصد سورة العنكبوت أن المؤمن لا بد وأن يتعرض للفتن والابتلاءات من قبل أعداء التوحيد ليلتحق بالشرك. فإذا أنعم النظر في محاور السورة وجد أن من الفتن التي يتعرض لها المؤمن وتوقِعُه في الحرج تعليق الكفار إيمانهم على مجموعة من المطالب وإلحاحهم في ذلك مع عدم الاستجابة الإلهية لهم؛ كطلبهم مزيداً من الآيات ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وكذا تأخر الوعد الإلهي عند استعجالهم العذاب يوقع المؤمن في حرج ويكون فتنة له وابتلاء ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ ، فهذا محور.

ومن الفتن التي تدعو المؤمن إلى الالتحاق بالشرك والتخلي عن التوحيد فتنة الإخراج والتهجير من البلد.

ولكن لماذا تخشون التهجير؟

أتخشون الموت والهلاك؟

أتخشون عدم وجود الرزق في المهجر؟

أما الموت فإن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾، فلن تموتوا قبل ميعادكم، وإذا متم فسنكون نحن في استقبالكم وننقلكم إلى أطيب عيش ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧﴾ مع ما ندخر لكم في الآخرة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ .

وأما الرزق فتيقنوا بأن الله تعالى سيجعل لكم في الهجرة سعة ورزقاً، فهو الذي يرزق جميع الكائنات ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ﴾ وبيده خزائن الكون ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ ، فتصبَّروا، فهذا محور آخر.

فبمعرفة هذه المحاور يسهل التوصل إلى مناسبة ورود آية استعجال العذاب وآية التهجير وآية الرزق، فما هما إلا محوران لتحقيق مقصد السورة وهو بيان أنواع الفتن التي يتعرض لها العبد المسلم الداعي إلى الله من قبل الكفار لصده عن دينه ودعوته.

فالتعرف على محاور السورة يسهل معرفة المناسبة.

عاشراً:

تقارب الموضوع الرئيسي

أحياناً لا تجد ارتباطاً ظاهراً بين الآيات، ولكنك إذا نظرت نظرة عامة وجدت أن كل مجموعة من الآيات تتكلم عن موضوع؛ عنوانه العام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجموعة الأخرى التي تليها. من ذلك:

١- آية الدين والقروض الثلاثة

ورد في آخر سورة البقرة الأمر بالجهاد بالمال والذي يتمثل بالحث على الإنفاق والتصدق ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ ، ثم ورد النهي عن الربا، ثم وردت آية الدَّين وبيع السلم. فما المناسبة؟

أما الآيات الحاثة على الجهاد بالمال والصدقة؛ فما هذا إلا **قرض حسن** لله تعالى بضوابط وشروط، وهو أفضل أنواع القروض. لذا ذكر الله فيها مضاعفة الأجر أضعافاً مضاعفة فقال سبحانه ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ . وقد قال سبحانه في أوائل آيات الجهاد بالمال وبالصدقة الواردة في السورة ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ وانتهت الآيات بقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ .

ثم وردت آية الربا بعدها مباشرة بلا فاصل ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾، فما هذا إلا **قرض سيء**، يجر الويلات على صاحبه وتعلن عليه الحرب الإلهية. أين ذاك المال المبارك من هذا المال الربوي الممحوق الذي لا بركة فيه، بل يجلب الهم والحزن، وفيه فساد وإفساد للمجتمعات والأمم وإشعال لنيران الحروب بينهم. فصاحبه حري بإعلان الحرب عليه من الله تعالى ورسوله ﷺ، فهذا أسوأ قرض وأسوأ دين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾ .

ثم ورد النوع الثالث من القروض وهو **القرض المباح** بضوابط

وشروط ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ . فهذه ثلاثة أنواع للقروض، فاختر منها ما تتهيأ به للقاء الله تعالى والفوز بمرضاته وعفوه ومغفرته.

واعلموا بأن موعد حلول الأداء الحقيقي لهذه القروض الثلاثة هو يوم المداينة عند الحكم العدل، وهو يوم الحساب. فالعبد مدين بما أقرضه الله تعالى إياه من روح وجسد ومال ونعمة، فلا بد من حلول هذا اليوم ليحاسبه فيه: ماذا فعل بهذه القروض؟ لاسيما وقد توفرت يومئذٍ جميع شروط القرض من كتابة الملائكة العدول، وشهادتهم عند القاضي الحكم العدل الذي لا يخفي عليه شيء ولا يظلم مثقال حبة من خردل ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، فجاءت آية الدَّيْن أطول آية في القرآن لأطول يوم يمر على العبد وهو يوم المداينة.

حينئذ توفي كل نفس ما كسبت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾، فتقف بين يدي الله تعالى الذي غلبت رحمته غضبه، فيتجاوز برحمته عن النسيان والأخطاء، ويتجاوز عن الإصر وما كان شاقاً وما لا طاقة للعبد به، مع كمال عفوه ومغفرته ورحمته وولايته ونصره لهذا الصنف من عباده الذي استجاب لدعوة التوحيد، لاسيما في هذا الموقف.

فالنظرة العامة للمجموعة الأولى من الآيات تنبئك عن **القرض الحسن** وهو الصدقة، والنظرة العامة للمجموعة الثانية واضح فيها **القرض السيء** وهو الربا، بينما المجموعة الثالثة صرحت **بالقرض المباح،** حينئذ تسهل معرفة المناسبة.

٢- سورة البقرة والسفر إلى الله تعالى

وردت آيات الوصية ثم آيات الصيام ثم آيات الحج ثم آيات الجهاد، فما المناسبة بينها؟

لو تأملنا الآيات **ونظرنا إليها نظرة عامة** لوجدناها كلها تصب في الرحلة إلى الله تعالى والسفر إليه. فالآيات الأولى وصية يوصي بها الميت الذي سيسافر إلى الله تعالى بروحه، وأما الحج فما هو إلا سفر إلى الله تعالى بجسده، وأما الجهاد فهو سفر إلى الله تعالى بجسده وروحه وهذه هي السياحة إلى الله تعالى. ولكن ما مناسبة ورود آيات الصيام بينها؟

المحب في شوق دائم إلى المحبوب، وينتظر بفارغ الصبر موعد الرحلة إليه ليلتقي به، فالمحبوب هو الله تعالى، فكيف يرحل إليه؟

إن الرحلة إلى الله تعالى والتي تحدث بإرادة العبد نوعان:

أ- دنيوية وهي رحلة البدن إلى بيته تعالى متمثلة برحلة الحج.

ب- وأخروية وهي رحلة الروح والبدن إليه بالجهاد في سبيله.

ولكن للقيام بهاتين الرحلتين يحتاج المرء إلى تهيئة وتدريب

واختبار للتقوى لمعرفة مدى قدرة النفس على تحمل السير فيهما، ويحتاج إلى وسيله يطهر بها صحيفته وينقيها من الأدناس والذنوب لتكون جوازاً له يستطيع به المرور وإتمام السير، ثم يحتاج إلى مراقبة وتنقية دائمة مما قد تقع فيه النفس من الخطايا أثناء سيرها في طريق الرحلتين للحفاظ على مقدار من التقوى يؤهلها للقاء الله تعالى والدخول في حِماه.

إن جميع المتطلبات المذكورة تتحقق بالصيام ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فمن منع نفسه عن المباحات وراقبها في ذلك فكيف يعتدي على المحرمات من النفوس والأموال والأعراض؟!

فالصيام هو المحك وهو الاختبار لمعرفة مدى صلاحيته للرحلتين وبه يطهر صحيفته وينقيها، وبه يراقب نفسه، وبه تتحقق التقوى، وبه يقدّم محبة الله تعالى على شهواته ولو كانت مباحة، فإذا أمره بتركها لأجله فعليه السمع والطاعة والإقبال على أمره بنفس راضية محبة قد ملأها الشوق إليه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. فيطهر قلبه نهاراً من الشهوات المباحة كالأكل والشرب والجماع، وإذا ما جن عليه

الليل أقبل على خالقه ومولاه وإلهه متهجداً سائلاً منكسراً طارحاً مهجته بين يديه، حظه من ليله مودته لخالقه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾، مخاطباً مليكه، سائلاً عفوه وقبول توبته قبل أن يرحل إليه فيجد الأبواب موصدة أمامه «إلهنا! قد أنخنا مطايانا ببابك، فلا تطردنا عن جنابك، فإن طردتنا فلا حول ولا قوة لنا إلا بك».

فإذا ما أدى الصوم في شهر رمضان على الوجه الصحيح فإنه يخرج منه مغفوراً له «رغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له»(١)، وقال ﷺ: «ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»(٢). حينئذ يستطيع البدء برحلة الشوق إلى الله تعالى وهي رحلة الحج التي تبدأ في شهر شوال الذي يلي رمضان مباشرة وهو أول أشهر الحج ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة. فاتصلت أشهر الحج بشهر رمضان، واتصلت آيات الحج بآيات صوم رمضان ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾، ثم تلتها آيات الجهاد وهي رحلة الروح والبدن إلى الله تعالى.

---

(١) رواه البزار (١٤٠٥) ونحوه للترمذي (٣٥٤٥) والحاكم (٥٤٩/١).

(٢) رواه الترمذي (٦٨٢) وصححه ابن خزيمة والحاكم والألباني

٣- آيات الطلاق والمحافظة على الصلاة

لما فصَّل الله تعالى أحكام النكاح والطلاق وضوابطه في سورة البقرة قال سبحانه قبل أن تختم آيات الطلاق ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ ، فلماذا اعترضت آيات الصلاة آيات الطلاق؟

لو تأملنا موضوع الطلاق والنكاح لوجدنا النكاح يشير إلى التواصل بين الرجل وزوجته، بينما الطلاق يشير إلى انقطاع العلاقة وتوترها بين الطرفين. ولو تأملنا الصلاة لوجدناها أفضل صور التواصل بين العبد وربه؛ فيجب المحافظة عليها وعدم قطعها حتى في الحروب، هذا وجه من وجوه المناسبة.

إنَّ هموم الخلافات الزوجية التي تصيب الزوج تعتبر من أكبر الهموم التي يعاني منها الزوج في حياته، لما فيها من تفرق الزوجين والأولاد وربما ضياعهم، وتقطّع الحياة الزوجية والعلاقات الأسرية. هذه المشاكل ما هي إلا مصائب يصاب بها العبد لما اقترفته يداه؛ إذ الصلة التي بينه وبين الله تعالى أصابها الخلل، فانعكس هذا على صلته مع أهله ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾. فالمصائب الدنيوية قد تكون

بسبب ذنوبه وبعده عن ربه، وربما بسبب تركه للأولى وفعل المكروهات. فلا بد من مراجعة النفس والاستغفار لترفع المصائب، لذا قال نوح عليه السلام لقومه ناصحاً لهم لرفع البلاء والقحط ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ وكذا قال هود لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ ؛ والنبي صلى الله عليه وسلم قال لقومه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ .

قال أحد علماء السلف: «إني أعلم أني قد عصيت الله تعالى من خُلُق دابتي وزوجتي»، فربما يغادر الرجل بيته تاركاً زوجته على أحسن الأحوال، ثم يرجع إلى البيت وقد تغيرت أحوالها عليه ولا يعرف السبب في ذلك، فيراجع نفسه فإذا هو قد أخطأ في حق إلهه ومولاه. وكذلك دابته ومركبته ربما تكون جديدة فيصيبها الخلل أو تتعطل، بينما ذاك الآخر صاحب المركبة القديمة يقودها ولا شيء فيها، فأراجع نفسي فإذا أنا قد عصيت ربي تعالى فأصاب علاقتي مع الله تعالى الخلل مما أدى إلى إصابة نعمي

الدنيوية بالخلل، فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه.

لذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة»(١). أي إذا اشتد عليه أمر سارع إلى الصلاة تائباً مستغفراً لاجئاً معتصماً بالله متذللاً خاضعاً يشكو إليه همومه وغمومه ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. ففي ذكر صلاة الخوف أثناء آيات النكاح والطلاق إشارة إلى أن هذه الهموم الزوجية التي أصبت بها من جراء ما اقترفته يداك، فعليك أن تلجأ إلى الله تعالى بالاستغفار والتوبة والتي أفضل أنواعها تتحقق في الصلاة، فوثق صلتك مع الله تعالى تتوثق صلتك مع الخلق، وهذه مناسبة ثانية.

ولها مناسبة ثالثة، وهي أن المشاكل الزوجية تشغل ذهن الطرفين، وتزداد همومها ويشتد وطيسها عندما يأوي كل منهما إلى فراشه للراحة فترة الظهيرة أو ليلاً، فتهجم على الذهن المشاهد الحية منذ بداية المشكلة، وما يزال يقلبها ويتقلب معها ويصاب بالأرق، فلا تغمض عيناه إلا قبل صلاة العصر بدقائق، أو قبل صلاة الفجر بجزء من الساعة لا تكفيه لأخذ قسطه من الراحة،

(١) رواه أحمد وأبو داود (١٣١٩)

فلا يستيقظ إلا بعد فوات وقت الصلاة، زد عليه أن المهموم يصبح نومه عميقاً ثقيلاً يختلف عن الوضع الطبيعي فيتأكد فوات الوقت، فلا يحافظ على الصلاة لوقتها ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ﴾ أي لوقتها.

وقال سبحانه ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ أي اخشعوا في صلاتكم، لا يشغلنكم الشيطان بالتفكير في تلك المشاكل أثناء الصلاة: قالت وقلت، لو أني قلت كذا لكان أفضل، ليت وليت... إلخ، فيخرج من الصلاة بلا تدبر ولا يعلم ماذا قرأ ولا كم صلى. لذا قال سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ ففي حالة الحرب حيث تسفك الدماء وتتطاير الرؤوس والتي هي أعظم من الهموم الزوجية- عليك أن تحافظ على الصلاة وتخشع فيها، فكيف بما دون ذلك كالمشاكل بين الزوجين.

فبالنظرة العامة إلى المجموعة الأولى من الآيات توصلت إلى الوصال والبين بين الزوجين، وبالنظرة العامة إلى المجموعة الثانية توصلت إلى الوصال والبين بين العبد وربه، حينئذٍ تتبين المناسبات بين المجموعتين من الآيات.

* * *

الحادي عشر:

الاختصار ثم التفصيل أو العكس

أحياناً يذكر الله تعالى المواضيع باختصار ثم يفصّلها بعد ذلك، بل أحياناً يذكر بينها فاصلاً، فمن لم ينتبه إلى الاختصار المذكور التبست عليه المناسبة بين الآيات التي فصّلت المختصر. من ذلك:

١- سورة البقرة والحج والجهاد

في سورة البقرة فصل الله تعالى موضوع الحج فيما يقارب وجهين ابتداء من قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وانتهاء بقوله سبحانه ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾، ثم فصل في الجهاد ابتداء من قوله سبحانه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ . ولكن الله تعالى ذكر بينهما فاصلاً يقارب وجهين ابتداءً من قوله سبحانه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ ، فما المناسبة؟

لقد جمع الله تعالى الموضوعين باختصار في بداية الربع الذي يشمل تفصيل الحج والجهاد فقال سبحانه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ ثم قال بعدها ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ

يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ فكلاهما سفر بإرادة العبد ورحلة إلى الله تعالى، الأولى بجسده؛ والروح تبع له، والثانية بروحه؛ والجسد تبع لها، فهذه المناسبة بينهما. ففصَّل الله تعالى فيهما بعد ذلك وذكر بينهما الفاصل المذكور.

فبالانتباه إلى ذكرهما مجموعين في المقدمة باختصار تعرف حينئذٍ مناسبة ذكرهما بعد ذلك بالتفصيل، وبمعرفة المناسبة بينهما تسهل معرفة مناسبة الفاصل المذكور بينهما وهو أن يوافق المخبر المظهر في رحلته إلى الله تعالى. فبعض الناس لا يوافق مخبره مظهره ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾، أما الصنف الآخر ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾ فيوافق الباطن الظاهر في الرحلتين إلى الله مشتاقاً إلى لقائه ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ لا تلهيه زينة الدنيا عن هذا المقصد العظيم ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ ، ويصّبر نفسه لذلك ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾ .

٢- المائدة والميثاق الإلهي

ورد فيها في الربع الثاني ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ ، ثم ورد فيها الأمر بمتابعة النبي ﷺ ثم التحذير من تأليه النصارى لعيسى عليه السلام ثم قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل ودخول الأرض المقدسة ثم قصة قابيل وهابيل، ثم حد الحرابة والسرقة، ثم الحكم بما أنزل الله ثم البراءة من اليهود والنصارى، ثم قتل اليهود للأنبياء وتثليث النصارى، ثم الاعتداء في تحريم المطعومات المباحة وإباحة المحرمة، ثم كفارة اليمين، ثم تحريم الخمر والميسر وتحريم صيد الحرم. فما المناسبة بين جميع ما سبق؟

لو قرأت أول الربع الثاني لوجدت أول آية فيه لخصت ذلك بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ .

أما آية ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ فمناسبتها واضحة لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ .

أما ما ورد بعدها من الأمر بمتابعة النبي ﷺ بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ فما هو إلا بيان لقوله تعالى في آية التلخيص ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ بلا إفراط ولا تفريط ولا تعدٍّ؛ بلا إفراط النصارى بتأليه نبيهم عيسى عليه السلام ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ ؛ ولا تفريط اليهود بتعنتهم كما تعنتوا مع نبيهم موسى عليه السلام في رفضهم دخول الأرض المقدسة؛ ولا تعدٍّ بالحسد كما حسدوا نبينا محمداً ﷺ وسعوا في قتله مقتدين بابن آدم الأول حين حسد أخاه فقتله لذا ورد بعدها ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ .

وأما سبب ورود حد الحرابة بعدها وهو عقوبة من أخذ أموال الناس بقتلهم وتهديدهم بالسلاح وكذا حد السرقة الوارد بعده فلأنهما عقوبتان تتعلقان بالمال وحفظه وخبثه وطيبه، ومناسبتهما ظاهرة مع ﴿وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ التي وردت في آية التلخيص.

وأما آيات الحكم بما أنزل الله والبراءة من اليهود والنصارى الواردة بعدها فما هو إلا تفصيل لقوله تعالى في آية التلخيص ﴿وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ أي ناصرتم رسلي وبما جاؤوا به وواليتم من والوه

وعاديتم من عادوه.

وما بعد ذلك فجميعه تفصيل لقوله سبحانه في آية التلخيص ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وهو بذل القلوب والنفوس والأموال لله تعالى وإقراضه إياها بدلاً من بذلها مجاراة للهوى. فما جاء بعد ذلك ما هو إلا ضد الإقراض الحسن لله تعالى وإنما هو مجاراة للهوى في البغض والحب والاعتداء والمعصية والتحريم والتحليل.

فمن مجاراة الهوى في البغض قتل اليهود للأنبياء وتكذيبهم ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ ، ومن مجاراة الهوى في الحب تثليث النصارى بتأليه نبي الله عيسى عليه السلام ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ ، ومن مجاراة الهوى الاعتداء في تحريم المطعومات المباحة وإباحة المحرمة ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ ، ومن مجاراة الهوى معصية الله تعالى في الخمر والميسر وصيد الحرم والاعتداء على محارم الله تعالى ﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ .

فمن انتبه إلى المختصر المذكور في مقدمة الآيات توصل إلى التناسب بينها.

٣- الأعراف والفاصل

ذكر الله تعالى في سورة الأعراف مجموعة من قصص الأنبياء وهي قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، ثم قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وبينهما فاصل يعادل وجهاً ونصف وجه. فما مناسبة ذكر الفاصل؟ لماذا لم يذكر قصة موسى عليه السلام مباشرة بعد قصة شعيب عليه السلام؟

إذا رجعنا إلى أول قصة ذكرت لهؤلاء الأنبياء لوجدنا قبلها قول الله تعالى ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ ثم شرع الله تعالى يذكر قصص هؤلاء الأنبياء. فبين الله تعالى في جميعها الخبث الواقع من الأقوام في تعاملهم مع الرسل، ولكنهم ينقسمون إلى قسمين: القسم الأول الخبث الذي واجه الأنبياء من قبل أعداء الرسل، فذكر الله تعالى قصص الأنبياء المذكورين ماعدا قصة موسى عليه السلام وفرعون. ثم القسم الثاني وهو الخبث الذي واجه الأنبياء ولكنه لم يقتصر على أعدائهم بل أحياناً يأتي من قبل أتباع الرسل وهم الذين ﴿يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ كما في قصة موسى عليه السلام الذي واجه المتاعب من قِبل أعدائه فرعون وحاشيته ومن أتباعه

وهم بنو إسرائيل.

وقد ذكر الله تعالى بينهما فاصلاً حذَّر فيه قريشاً والعرب من معاداة النبي ﷺ لئلا يكون مصيرهم مصير تلك الأمم أعداء الرسل، ورغبهم في متابعة النبي ﷺ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾. ثم حذر في هذا الفاصل أتباع الرسل وهم الذين يرثون الأرض حذرهم من إيذاء الرسول ﷺ فقال سبحانه ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ فذكر ذلك توطئة قبل أن يذكر مثالاً له، ثم شرع سبحانه يذكر مثالاً واضحاً لأتباع الرسل كيف آذوا رسولهم وهم بنو إسرائيل بعد أن آذاه الفراعنة؛ إذ سعى نبي الله موسى عليه السلام في نجاة الأتباع إلى أن أورثهم الله الأرض ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ﴾ ثم آذوه بعد ذلك أشد الإيذاء.

فذكر الله تعالى في المقدمة المختصرة الأصل العام سواءً للأعداء أو الأتباع وهو خبث الأصل وأثره على الطاعة ومتابعة الأنبياء ثم شرع سبحانه يفصل فيه.

فبالانتباه إلى المقدمة المختصرة الجامعة بين الأصناف يسهل التوصل إلى مناسبة الآيات ببعضها.

* * *

الثاني عشر:

كلمات مكررة

أحياناً يجد القارئ كلمات مكررة أو مترادفة في الآيات التي لا يجد بينها رابطاً، فيمكنه حينئذٍ من خلال تلك الكلمات المكررة التوصل إلى المناسبة بينها، من ذلك:

١- المائدة ومساءلة الرسل

وردت آية الوصية في المائدة ثم ورد ذكر نبي الله عيسى عليه السلام وما أكرمه الله به من الآيات وقصة نزول المائدة للحواريين ومساءلة الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فما المناسبة؟

يمكنك ملاحظة تكرار كلمة الشهادة بتصاريفها في المجموعتين من الآيات. ففي آية الوصية ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾.

وكذا يجد كلمة الشهادة مكررة في المجموعة الثانية من الآيات

وهي آيات نبي الله عيسى عليه السلام ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ ، ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ ، ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .

ولما كان مقصد سورة المائدة المحافظة على الميثاق الإلهي وهو الالتزام بالأصول الثلاثة وهي توحيد الله ومتابعة النبي ﷺ وتزكية النفس؛ فإن هذا الميثاق الإلهي هو وصية الله تعالى لكم قد أشهدكم الله تعالى عليه، وهو أعظم من ميثاق وصية المتوفى في ماله.

وقد جعل الله سبحانه على ميثاقه الأعظم عدة أدلة وعدة شهود، منها الشاهدان من أهل الكتاب اليهود والنصارى وقد حذرهم الله تعالى من كتم الشهادة ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾، وسيسألكم الله تعالى عن هذا الميثاق وهذه الوصية بحضور جميع الشهود، بل وسيسأل الأنبياء عنه وسيحاسب الجميع عليه ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾. فمن تولى عن هذا الميثاق وكتم وصية الله تعالى فإثمه أعظم من إثم من كتم وصية المتوفى في ماله، وحسابه أشد من محاسبة من أخلف ميثاق المائدة، وعقوبته أشد أنواع العقوبات ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. حينئذ لا يفوز إلا من تمسك بميثاقه ووفى بعهده وصدق مع الله تعالى

فحافظ على الأصول الثلاثة بالتزامه بنود الوصية الإلهية والميثاق الإلـــهـــي ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ .

فبملاحظة الكلمات المكررة يسهل على المتدبر التوصل إلى التناسب بين الآيات.

٢- النساء والجهر بالسوء

ورد فيها قول الله تعالى ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ ، ثم ورد بعدها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ ، ثم ذكر الله تعالى بعدها شناعات اليهود كقولهم ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ واتخاذهم العجل ونقضهم الميثاق ومحاولتهم قتل نبي الله عيسى عليه السلام وتعاملهم بالربا، فما المناسبة؟

لو قرأنا الآيات لوجدنا فيها تكرار كلمة الظلم ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ ، وفي مخازي أهل الكتاب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ ، ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ .

فالمناسبة في ذلك أنك إذا اغتبت ظالماً فتكلمت عنه فيما يخص ظلمه إذا كنت مظلوماً أو آذاك ظلمه جاز لك ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾.

ومن أشهر الظلمة الذين تجوز غيبتهم والكلام عن ظلمهم هم أهل الكتاب، فإنهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾، وقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ

ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ . لقد أخذت منهم المواثيق فنقضوها ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾ ، وسعوا في قتل نبي الله عيسى عليه السلام، بل وتفاخروا بادعاء قتله، وتعاملوا بالربا، وأكلوا أموال الناس بالباطل. فهؤلاء يجب فضحهم لشناعة ظلمهم ولعظم فسادهم، فلو لم تجهر بسوئهم وفسادهم لأفسدوا عليك أمتك وأهل الأرض كذلك.

فتكرار كلمة الظلم سهلت معرفة المناسبة.

٣- الزمر وغذاء الروح

قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ ، ثم ذكر بعدها القرآن فقال سبحانه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ ، فما المناسبة؟

تجد كلمة النزول مكررة في الآيتين، ففي الأولى نزول ماء السماء لإحياء الأرض بالنبات وفي الثانية نزول القرآن لإحياء القلوب.

لذا ينبغي أن أرطب لساني وقلبي بذكره دوماً ليتجدد حبي وتتجدد عبوديتي له، فتزهر رياض حبي بألوانها، مخصبة بأقواتها المختلفة، وإلا أصابها القحط والجدب بالغفلة عن ذكره وتهشمت أفنان القلب فأصبحت حطاماً وأمسى القلب قاسياً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ﴾ ، فمن أكرمه الله تعالى بمقام العبودية وأخلصه له أكرمه بالرياض اليانعة من المحبة الإلهية، فإن أعرض العبد عنها سلب الله عنه تلك الكرامات لذا قال سبحانه في هذه السورة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ﴾ فنسب الجزاء

إلى نفسه الكريمة ﴿يَجْعَلْهُ﴾ ، بينما في سورة الحديد ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ .

حينئذ يرتقى القلب إلى مرتبة أعلى في الإخلاص والمحبة الصادقة. ومن علاماتها انشراح الصدر واستنارة الوجه وظهور البهجة عند سماع كلامه وعند عبادته ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، فألتذ بسماع كلامه ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾، فيسترخي جلدي وقلبي حينئذ ويلينان مستسلمين لحبه، هائمين في وجده بعدما اقشعرا من روعة ذكره ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ .

وقارنه بمن يُدعي إلى كلام الله تعالى وإلى توحيده ويصبّح به فيقبض وجهه ويكفهر عند سماعه لقسوة قلبه، فعوقب يوم القيامة بمواجهة النار له، حينئذ يعمل جاهداً ليتقيها بوجهه بدلاً من يده التي غلت وكبلت بالسلاسل وصفدت. فكيف يكون حاله؟ انظر إلى وجهه مكفهراً حال انقباض عضلاته ليتقي النار، فالجزاء من جنس العمل ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أعاذنا الله منها. ذلك لأن أحواله في الدنيا كانت تتقلب ما بين تكذيب

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ وخزي ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ وقلب مضطرب متنازع فيه ﴿رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ ، لقد كان يكره سماع التوحيد.

وكذا ما ورد في سورة النحل ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ وبعدها ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ فتكرر لفظ الإنزال لنفس المقصد.

وكذا تكرار كلمة الإرسال في آيات ثلاث متتالية في سورة الروم ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ ثم ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾ ثم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ . فالرسل كالرياح المبشرات لا يأتون إلا بسحب الغيث والمزن والخير والهداية والرحمة للخلق والبشارات لهم.

فبملاحظة الكلمات المكررة يمكن التوصل إلى التناسب بين الآيات.

* * *

الثالث عشر:

إعادة ذكر الموضوع بعد الآيات الاعتراضية

أحياناً قد يلتبس على القارئ لكتاب الله تعالى معرفة مناسبة ورود آية في موضع، ولكنه لو قرأ ما بعدها لرأى أن الموضوع المذكور قبل الآية قد أعيد ذكره بعدها، فيعلم حينئذ أن الآية الاعتراضية ما هي إلا زيادة بيان وتحقيق للموضوع المذكور. من ذلك:

١- سورة البقرة وآية الخمر والميسر

ذكر الله تعالى آية الإنفاق ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ ثم ذكر بعدها آيات القتال ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾ ثم قال سبحانه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ ، فما المناسبة؟

لو أكملنا الآية لرأينا موضوع الإنفاق رجع مرة أخرى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ﴾ ، فالموضوع إذاً عن الإنفاق في سبيل الله تعالى والإنفاق للجهاد في سبيله.

إذ اعترض المخذلون عن الجهاد في سبيل الله تعالى بمجموعة من الاعتراضات والشبهات المخذلة فقالوا: إن من الجنون وفقدان العقل أن يبذل الإنسان ماله ليلقى حتفه!

فأتت الإجابة الإلهية الشافية بأن المجنون هو ذاك الذي ينفق ماله في شرب الخمر فيذهب بعقله ويجعله منحطاً سافلاً، أو ينفقه في الميسر ليفقد جميع أمواله في ساعة واحدة كما هو الحال عندكم أيها المخذلون ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ . أين هذا من ذاك الذي يبذل ماله ومهجته في محبة الله تعالى، وتقرباً إليه ولو أدّى به إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى؟

فتبين أن ذكر هذه الآية الاعتراضية ما هو إلا زيادة بيان وتحقيق لموضوع الإنفاق في سبيل الله تعالى. **فإعادة ذكر الموضوع بعد الآية الاعتراضية** يسهل معرفة المناسبة.

٢- النساء وآية الطهارة

لما وصى الله تعالى في سورة النساء بالإحسان إلى الناس ليتآلف أفراد الأمة ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ حذر من الأخلاق السيئة كالبخل والاختيال التي تثير بينهم العداوة والبغضاء والشحناء وتقطع أوصال الأمة. ثم قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾، فما المناسبة؟

لو قرأت الآيات بعد آية الطهارة لوجدت الموضوع قد عاد مرة أخرى إلى التحذير من سفاسف الأخلاق ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ ، حينئذ تعلم بأن آية الطهارة أتت مكملة للآيات السابقة واللاحقة.

ذلك لأن تآلف أفراد الأمة لا يتحقق إلا بالتواصل. والتواصل يتطلب توفر خلق الإحسان، فيحسن العبد تعامله مع الله تعالى لأنه سبحانه وحده القادر على التأليف بين القلوب، ويحسن تعامله مع أفراد الأمة إذ النفس مجبولة على حب من يحسن إليها ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ

ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ .

والتواصل يتطلب ترك الاختيال على الناس والفخر والبخل بالمال عنهم والبخل بالعلم بكتمه ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ ، فإذا رأيت البخيل أنفق فإنه لا ينفق إلا رياء، إلا من رحم الله تعالى.

كما أنه ينبغي التواصل مع الله تعالى بصفاء الذهن والعقل والقلب ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ ، وكذا مع أفراد الأمة. وينبغي التواصل مع الله تعالى بطهارة الباطن والظاهر ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ﴾، وكذا مع الخَلْق بالنظافة الظاهرة ونقاء السريرة. وينبغي التواصل مع الله تعالى بالوجه واليدين وذلك بتذليلها بالتراب تعظيماً له وعبودية لتحقيق كمال الأدب والطهارة ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ﴾ ، وكذا مع الخلق ولكن بانبساط الوجه ولين اليد ونداوتها.

ولا بد من اجتناب الحسد وإرادة الشر للغير وخبث السريرة ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾، واجتناب فحش القول ولي اللسان والتعامل مع الناس بوجهين ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾. ولا بد من اجتناب التحايل والتشبع

بما ليس فيه وشهادة الزور، واجتناب خيانة الأمانة وخيانة الأخوة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ .

والجامع لذلك كله أن يكون أميناً صادقاً محسناً في تواصله وتعامله مع إخوانه في الله.

فبالانتباه إلى إعادة ذكر موضوع التواصل بعد آية الطهارة يتبين بأن ذكر آية الطهارة والتيمم ماهي إلا زيادة بيان وتتميم التواصل لتحقيق التآلف بين أفراد الأمة.

٣- آية الأحزاب ويتم النبي ﷺ

لما ذكر الله تعالى مكانة النبي ﷺ في سورة الأحزاب ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قال سبحانه بعدها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ، فما المناسبة؟

لو قرأنا الآيات التي بعدها لوجدناها أعادت ذكر مقام النبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ ، فتبين حينئذ أن الآية الاعتراضية ما هي إلا تتميماً للموضوع.

لقد نشأ النبي ﷺ يتيم الوالدين، وسيستمر معه اليتم حتى من جهة أولاده الذكور فلا يبقى له ولد ذكر لا بالتبني ولا من صلبه؛ ليتمم الله خلته ويبقى اسمه رسول الله درة الأنبياء، وبه تختم النبوة ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، فهو يتيم الله تعالى في سيادة البشر، فالله هو وليه وكفيله، وجعله خاتم النبيين.

ولكن احذروا من أن يخطر في قلوبكم في حق النبي ﷺ ما خطر في قلوب النصارى في بنوة عيسى عليه السلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ

ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ . ومع ذلك احفظوا مكانة نبي الله الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ ، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

فتبين بأن ذكر الآية الاعتراضية ما هي إلا لإزالة شائبة الغلو التي قد تصاحب رفع مكانة النبي ﷺ.

فهذه الطريقة تسهل لك معرفة مناسبة ورود الآية في هذا الموضع **إذا لحظت وجودها بين آيتين تتناولان نفس الموضوع.**

* * *

الرابع عشر:

التضاد والمقابلة

إن وجود كلماتٍ أو جُمَلٍ أو معانٍ متضادة تسهل لك معرفة المناسبة بين الآيات التي لم تتوصل إلى التناسب بينها. من ذلك:

١- النور والطير

ذكر الله تعالى آية النور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ثم ذكر بعدها ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ ثم قال سبحانه ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾ ، فما مناسبة ذكر الطير في هذا المقام؟

مقصد سورة النور: «كيف تحصل على العفة لتفوز بنور الله تعالى»، فإذا تحققت العفة للعبد فإن الله تعالى سيمنح نوره لعبده ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾. وإذا ما أراد العبد أن يزداد نوراً ويشع وجهه نوراً ويستمر معه النور الإلهي فعليه بملازمة المساجد والتعلق بها والتردد عليها مصلياً ذاكراً فيها اسم الله تعالى الذي هو أصل النور لاسيما بالغدو والآصال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦﴾ .

أما إذا خرم عفته ولهث وراء شهوته سعياً للزنا، عاشقاً للنساء عشقاً محرماً، ظاناً أنه سيروي ظمأ شهوته ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ فليعلم أنه لن يرتوي، وأنه يلهث خلف سراب، وسيتقلب في العذاب والظمأ حتى يلقى الله تعالى وهو يلهث ليوفيه حسابه. بل ستكون الدنيا في وجهه سوداء مظلمة، يتكبكب في ظلماتها وفي قعرها، يظلم معها وجهه وقلبه ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ .

أين هذا ممن علا كعبه بتسبيح الله تعالى وطاعته والتزام طرق العفة فسمَت بصيرته، يرى الأمور على حقيقتها كالطائر في ساعة صفاء لم ينشغل برفرفة جناحيه فيرى بالنور الإلهي والنور الكوني كل شيء تحته ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ ، قد علا النور وجه المؤمن العفيف حتى كاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ .

فذكر الطير الذي يَسْبحَ في طبقات الجو العليا المنيرة في مقابلة من يتقلب في طبقات البحر السفلى المظلمة ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ يسهل معرفة المناسبة.

فملاحظة التقابل بين الكلمات والجمل يسهل معرفة المناسبة.

٢- سورة ص والجبال والطير

لما ذكر الله تعالى تكذيب الكفار للنبي ﷺ واستهزاءهم به في سورة ص ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾، ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ قال الله تعالى لنبيه ﷺ مواسياً له: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾. فما مناسبة ذكر الجبال والطير لتصبير النبي ﷺ؟

يمكن التوصل إلى المناسبة بمعرفة وجه التشابه أو التقابل بين الجبال والطير. فالجبال تتميز بالثقل والصلابة والرسو؛ والطير بالخفة والتقلب والحركة، وهذه هي المناسبة. ويمكن بيانها كما يلي:

إن المكانة المرموقة والعزة الموعودة لأهل التوحيد تحتاج إلى صبر على التوحيد وعلى دعوة الناس إليه. فإذا كان الكفار أهل الباطل يتواصون بالصبر على شركهم وباطلهم ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ﴾ ويتعززون به ويشاقون لأجله؛ فأصحاب الحق الموحدون أولى بالتمسك بتوحيدهم والتعزز به والتحلي بالصبر

بأنواعه السبعة.

منها الصبر على أذى الكفار من تكذيبٍ واتهاماتٍ وسخريةٍ، فإن عاقبة هذا النوع من الصبر تسخير الناس لكم. ألا ترون إلى الجبال الثقيلة الصلبة الراسية القاسية التي يصعب تسخيرها كيف سخرها الله تعالى لداود عليه السلام؟ ألا ترون كيف سخر الله تعالى له ما يضادها وهي الطيور الخفيفة سريعة التقلب والحركة التي يصعب تسخيرها؟ فأخذ الجميع يسبح معه بالعشي والإشراق ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ . ألا يقدر الله تعالى على تسخير الناس للاستجابة لما جئتم به من الرسالة والدعوة إلى توحيد الله تعالى وهم دون الجبال في الصلابة القسوة وأوقر من الطيور في الخفة والتقلب والحركة؟ بلى، ولكن عليكم بالصبر.

فبملاحظة التقابل بين الجبال والطير سهل التوصل إلى المناسبة.

٣- الحديد وحياة القلب

لما عاتب الله تعالى المؤمنين في سورة الحديد بقوله سبحانه ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ قال بعدها ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ، فما المناسبة؟

لو أكملنا الآية الأولى وتأملناها ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لوجدنا فيها خشوع القلب وما يقابله وهو قسوة القلب وهما متضادان. ثم لو تأملنا الآية التي تليها لوجدنا فيها إحياء الأرض وما يقابلها وهو موتها. حينئذٍ تتبين لنا المناسبة بينهما وهو أن موت القلب كموت الأرض، وإحياءه كإحياء الأرض. فيمكن للقلب القاسي الميت أن يحييه الله تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها، فلا ييأس العبد ولا ينقطع رجاؤه من الله تعالى، فإذا ما لجأ إليه وتاب وأناب وتصدق وأقرض الله قرضاً حسناً فإنه سيحييه له ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ .

فورود الكلمات أو الجمل أو المعاني المتضادة يسهل للباحث معرفة المناسبة.

الخامس عشر:

معرفة العلل والحِكَم والأحكام

معرفة العلل والحِكَم من أهم الأمور التي تجمع بين الصور المختلفة ظاهراً بينما هي متفقة في مقاصدها، فبهما يسهل معرفة المناسبة بين الآيات. منها:

١- نكاح المشركات وآية الحيض

قال الله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾ ثم تلاها قول الله تعالى ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾ . فما المناسبة؟

إن حكمة عدم نكاح المشركات هي نجاستهن الشركية وهي نجاسة معنوية كما قال تعالى في آية التوبة ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾. فإذا تساءل متسائل: لماذا حرم الله نكاح المشركات؟ أجيب بذلك. ولتوضيح قبح هذا النوع من النكاح نكاح المشركات النجسات وَرَدَ السؤال عن جماع الحائض، أليس هذا قبيحاً ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾ ؟ فدم الحيض دم نجس؛ يستقبح الزوج جماع زوجته أيام الحيض تجنباً للنجاسة

الحسية في دم الحيض، فكيف بالنجاسة المعنوية وهي نجاسة الشرك؟ فالنجاسة المعنوية أعظم قبحاً وخبثاً من النجاسة الحسية.

فبمعرفة حكمة كل من الحكمين على حدة يسهل معرفة المناسبة بينهما.

٢- التوحيد والطعام الطيب

ورد في سورة البقرة آية عبادة الله وحده ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ تلتها آية محبة المؤمنين لله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ ثم تلتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ ؛ فما المناسبة؟

ذلك لأن توحيد الله تعالى بالمحبة والعبودية هو غذاء الروح كما أن أكل الحلال الطيب غذاء البدن، فالجامع بينهما أن كليهما غذاء.

٣- الأحزاب وخلة النبي ﷺ

ورد في مستهل سورة الأحزاب ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾، ثم قال سبحانه بعدها ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾، فما مناسبة ذكر القلبين ومظاهرة الزوجة والتبني في سياق بيان مكانة النبي ﷺ؟

إن الله تعالى قد صان المصطفى محمداً ﷺ وزكاه وطهره وشرفه وحفظه ونقاه من كل أذى. فهو إمام المتقين، وسيد الموحى إليهم، وعلم المتوكلين ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾، لم يخاطبه الله إلا بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ فهو خليل الله تعالى.

وقد بين الله تعالى سلامة قلب النبي ﷺ لله وحده مستنهضاً إياه بعدة صور للثبات عليه. منها أن صدر الرجل لا يسع إلا لقلب واحد؛ فلا يسع لقلبين، فكذا قلب النبي لم يكن يسع خلة إلا لخليل واحد وهو الله تعالى، لا يشاركه فيه أحد من الخلق مهما بلغ من المكانة ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾ . ثم

ضرب الله تعالى له مثلاً آخر في الزوجات؛ كما أنهن لا يشاركن الأم في أمومتها مهما بلغن من المكانة عند الزوج إذ الأمومة الحقيقية لا تسع إلا لامرأة واحدة، فكذا مخالة النبي ﷺ لا تسع إلا لواحد وهو الله تعالى؛ فخلته لله تعالى لا يشاركه فيها أحد.

فليست خلته لله تعالى دعوى مزيفة لا حقيقة لها كتَبَنِّي الدعي الذي لا حقيقة له في البنوة، ولا كالزوجة المظاهَرة التي لا حقيقة لها في الأمومة ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔي تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ﴾. فكلاهما دعوى مزيفة لا حقيقة لها.

فلكمال شرفه عند الله تعالى وكمال خلته جعله الله تعالى أباً للمؤمنين، وجعل أزواجه أمهات المؤمنين. لقد عقد الله تعالى له ميثاق النبوة، وقدمه على أولي العزم من الرسل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ﴾ ، فجعله سيد الأنبياء ﷺ.

فمعرفة الحكمة من ورود كل آية على حدة تسهل معرفة المناسبة. إذ لا يوجد قلب يشارك قلباً في جسد واحد، ولا زوجة تشارك أماً في أمومتها، ولا ابناً بالتبني يشارك ابن النسب في بنوته.

السادس عشر:

معرفة طبيعة النفوس ومعايشة الأحوال

كلام الشخص عن الأوضاع والأمور من بعيد يختلف عن كلام القريب منها الذي عايشها وخبرها وعرف ما يعتري النفوس من شعور وتطلعات وتغيرات. لذا من عاش الأحوال التي سيقت لأجلها الآيات سهل عليه معرفة مناسبة ورود ما بعدها من الآيات وكذا ما قبلها. من ذلك:

١- النساء والسلام

وردت في سورة النساء آيات تحث على الجهاد والقتال في سبيل الله تعالى إذ قال سبحانه ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِۚ﴾ ثم قال سبحانه ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ ثم قال بعدها ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ﴾ وفجأة ورد بعدها ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾، ما المناسبة؟

إن النفوس إذا عايشت القتال والقتل وكثر ذلك قسى القلب واتصف بالجلافة والصعوبة والجفاء، فلا تجده يلين في التعامل، بل عند اللقاء لا يكاد يبدأ بالسلام. وإذا بدئ بالسلام لا يكاد يرد

السلام، وإذا رد السلام رد بجفاء مقطبَ الجبين، بل لا ينتشر السلام والأمان في تلك البيئة التي يكثر فيها القتل. لذا حث الله تعالى المجاهدين على أن يتعاونوا مع عموم المسلمين وينشروا الألفة والتآلف والمحبة بينهم ويسعوا في خدمة المسلمين ويشفعوا لهم لتيسير أمورهم وتسهيل المستصعب فقال سبحانه ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ .

وحثهم على إشاعة السلام ليطفئوا به حرارة سفك الدماء والمعاداة والتفرق والقسوة والجلافة التي تجرِّئ على سفك دم أخيهم المسلم ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ فإنّ قتل المسلم كبيرة من الكبائر لذا قال سبحانه بعدها بآيات ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾. بل سلام المؤمن على بعض من تعود القتل لا يكاد ينجيه من القتل لذا حذر الله تعالى من الاعتداء عليه وقتله فقال سبحانه على إثرها ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾.

فمن عايش القتال وتعامل مع المقاتلين وعرف طبائعهم سهل عليه معرفة مناسبة ورود آيتي الشفاعة الحسنة والسلام ضمن آيات الجهاد.

٢- قصة داود عليه السلام وجالوت

بعد أن ذكر الله تعالى قصة الملك طالوت وقتل داود عليه السلام للملك الجبار جالوت قال سبحانه ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ ثم قال سبحانه بعدها للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ . فما المناسبة؟

بمعايشة النفس البشرية إذا سمعت من يذكر فضائل أقرانها فإنه يطرأ عليها تساؤل: «وماذا عنِّي أنا»؟

جبر قلب النبي صلى الله عليه وسلم

فهذا تساؤل قد يطرأ على قلب النبي صلى الله عليه وسلم بعدما سمع عن مُلك داود عليه السلام ولم يحصل مثل هذا الملك لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين نزول الآيات. أجاب الله تعالى عليه جبراً لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وبياناً له ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. فبين الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه اصطفى الأنبياء وفضل بعضهم على بعض فاصطفى منهم رسلاً، وداود عليه السلام نبي وليس من الرسل بينما أنت سيد الرسل. ثم فاضل الله تعالى بين الرسل فمنهم من كلمه الله تعالى، ومنهم من رفعه درجات كدرجة

الخلة، ومنهم من أجرى على يديه معجزات أخرى؛ منها معجزة تأييده بروح القدس.

فممن فضله الله تعالى بكلامه موسى عليه السلام، وممن رفعه درجات إدريس عليه السلام الذي رفع إلى السماء الرابعة، والذي رفع بالخلة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وآخر فضله بالبينات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وهو عيسى عليه السلام وأيده بروح القدس. هذه الألوان المتعددة المذكورة من التفضيل أعظم من ملك دواد عليه السلام.

وقد جمعنا لمقامك كل هذه الفضائل من الفوز بكلام الله تعالى عند سدرة المنتهى بدلاً من الطور، وبوصوله إلى سدرة المنتهى تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم عيسى وإدريس وموسى وإبراهيم عليهم السلام، فجمع له كلام الله له عندها مع علو المكان والمكانة. ثم أكرمه الله تعالى بدرجة الوسيلة التي رجاها النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أكرمه الله برفع الدرجة وأعظمها درجة الخلة التي فاق فيها إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، ثم جمع له الآيات الكثيرة التي فاقت كل معجزات الأنبياء من معجزة نوح عليه السلام إلى آخرها وهي رفع عيسى عليه السلام إلى السماء الدنيا بروحه وجسده فتعداه النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده في معراجه إذ ارتفع بصحبة جبريل روح القدس عليه السلام إلى ما بعد السماء

السابعة عند سدرة المنتهى تحت عرش الرحمن عند جنة المأوى.

ثم أكرمه الله تعالى بتأييده بجبريل روح القدس عليه السلام مرات عديدة؛ من ذلك مصاحبته للنبي صلى الله عليه وسلم في الإسراء والمعراج، بل صاحبه في كل مراحل الدعوة منذ بداية الرسالة لما نزل عليه في غار حراء وضمه حباً وشوقاً، ثم في حفظه من قريش وعتاتها بإذن الله تعالى، ثم بملازمته له في الهجرة والغار، وقتاله معه في غزوة بدر وأحد والخندق وقريظة وحنين، واستمرار نزول جبريل عليه السلام بالقرآن في كل مراحل الدعوة إلى لحظة الوفاة التي خَيَّره فيها بالأمر الإلهي بين الدنيا والآخرة. لقد جمعنا لك كل تلك الكرامات، فناسب قول الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بعد قوله تعالى عن نبيه داود عليه السلام ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ .

فبمعرفة طبيعة النفوس ومعايشة الأحوال يمكنك التوصل إلى التناسب بين الآيات بإذن الله تعالى.

٣- الأنبياء وداود وسليمان

لما ذكر الله تعالى قصة إبراهيم ولوط ونوح عليهم السلام على الترتيب المذكور وذكر نجاتهم ذكر الله تعالى قصة داود وسليمان عليهما السلام مع صاحب الغنم وصاحب الحرث ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ ، فما مناسبة ذكرها في هذا الموضع؟

ذلك أن من عايش حال الأبوة والبنوة يلحظ أن الله تعالى قدم ذكر إبراهيم ﷺ وهو الابن على أبيه نوح عليه السلام، بل قدم ذكر قصة لوط عليه السلام على نوح عليه السلام بالرغم من أبوة نوح وأفضليته على حفيده لوط. فقد يتساءل متسائل: لماذا قدم ذكرهما على نوح عليه السلام وهو الأب وهو من أولي العزم من الرسل؟

فذكر الله تعالى قصة داود وسليمان مجيباً على هذا التساؤل. وتتلخص هذه القصة في دخول رجلين على نبي الله داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي فلم يُبْقِ من حرثي شيئاً. فقضى داود عليه السلام بأن الغنم كلها لصاحب الحرث. فقال

سيلمان عليه السلام لأبيه داود عليه السلام: غير هذا يا نبي الله؟ قال داود عليه السلام: وما ذاك؟ قال سليمان عليه السلام: تدفع الغنم إلى صاحب الحرث فيصيب منها، وتدفع الأرض إلى صاحب الغنم ليحرثها، فإذا عادت كما كانت من الحرث دفعت الحرث إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبه، فذلك قول الله تعالى ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ .

فأحياناً يتقدم الابن على الأب لحكمة يراها الله تعالى كما قدم الله تعالى سليمان عليه السلام على أبيه داود عليه السلام، وهكذا قدمت قصة لوط عليه السلام على قصة أبيه نوح عليه السلام لحكمة يراها الله تعالى [وقد تم بيانها في القاعدة السادسة وهي «معرفة مقصد السورة»]. ومنها أن يكون الله تعالى قد آتى الابن من المكانة والفهم والحكمة ما يفوق بها أباه وإن كانا جميعاً ذوي حكمة وفهم ومكانة كحال داود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ ، وهكذا الحال في تقديم ذكر إبراهيم صلى الله عليه وسلم الابن على أبيه نوح عليه السلام لما لإبراهيم صلى الله عليه وسلم من المكانة التي فاق بها جميع الرسل إلا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم.

فمن أنعم النظر في ترتيب تلك القصص **وعاش حال الأب مع**

الأبناء والأحفاد خطر عليه السؤال المذكور الذي تستغربه النفوس وهو لماذا قدم ذكر الأبناء على أبيهم؟

❋ ❋ ❋

تم بحمد الله وفضله في رمضان عام ١٤٣٦ من الهجرة النبوية

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ. دار المعرفة - بيروت.

٣- أحكام الجنائز وبدعها. محمد ناصر الدين الألباني ت ١٤٢٠ هـ. المكتب الإسلامي ١٣٨٨ هـ.

٤- إحياء علوم الدين. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ هـ. دار المعرفة - بيروت.

٥- الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية. لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري. دار الصديق- الجبيل - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٦- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٧- أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها من غرائب آي التنزيل. محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي. المكتبة العصرية- بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٨- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الأرغياني، تحقيق وتخريج : د. ماهر ياسين الفحل، دار الميمان – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة. علي بن محمد بن الأثير. دار إحياء التراث العربي-بيروت.
١٠- أسس النقد الأدبي عند العرب. د/ أحمد أحمد بدوي. نهضة مصر.
١١- الإعجاز البلاغي. د/ محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م.
١٢- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ. د/ حمد الأمين الخضري. مطبعة الحسين- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
١٣- الإعجاز البياني للقرآن. د/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. دار المعارف – القاهرة – مصر، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.
١٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان، الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
١٥- إعراب القرآن الكريم وبيانه. لمحيي الدين الدرويش. اليمامة- دار ابن كثير- دمشق، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي. لأبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد. دار الكتب العلمية- بيروت،

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٧٧م.
١٧- البحر المحيط. لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي الشهير بأبي حيان. مكتبة ومطابع النصر الحديثة- الرياض.
١٨- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية. جمعة يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.
١٩- بدائع الفوائد. لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ. دار الكتاب العربي- بيروت.
٢٠- البداية والنهاية. أبو الفداء إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤ هـ. مكتبة المعارف - بيروت، مكتبة النصر- بالرياض، الطبعة الأولى ١٩٦٦م .
٢١- البديع في ضوء أساليب القرآن. د/ عبدالفتاح لاشين. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.
٢٢- البرهان في ترتيب سور القرآن. أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعبان. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢٣- البرهان في تناسب سور القرآن. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: د/ سعيد بن جمعة الفلّاح. دار ابن الجوزي.

٢٤- البرهان في توجيه متشابه القرآن. محمد بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق :عبدالقادر أحمد عطا. دار الكتب العلمية- بيروت، توزيع دار الباز- مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٥- البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. دار الجيل- بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٦- بلاغة القرآن. لأحمد بدوي.

٢٧- البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: حسن النسدوبي. المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ١٩٣٢م .

٢٨- تاريخ العرب. د/ فيليب حتي، وإدوارد، وجبرائيل جبور، دار غندور. بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.

٢٩- التحرير والتنوير. لمحمد الطاهر بن عاشور، مكتبة ابن تيمية - الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.

٣٠- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. محمد نور الدين المنجد. دار الفكر - دمشق سورية، دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .

٣١- التصوير البياني. د / محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٣٢- تفسير الجلالين. لجلال الدين محمد بن أحمد الملحي الشافعي وجلال الدين عبدالرحمن السيوطي مطبوع مع شرحه الفتوحات الإلهية. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٣٣- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. المطبعة النبهانية- مصر، ١٣٤٧هـ.

٣٤- تفسير الشعراوي. محمد متولي الشعراوي، تخريج: د/ أحمد عمر هاشم. أخبار اليوم- القاهرة، ١٩٩١م.

٣٥- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري. المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق- مصر، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٣٦- تفسير القرآن. لأبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم عباس. دار الوطن- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٧٧م.

٣٧- تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء إسماعيل عماد الدين بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا. الشعب- القاهرة.

٣٨- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الرازي الشافعي. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٣٩- تفسير المراغي.لأحمد بن مصطفى المراغي، تخريج: باسل عيون السود. دار الكتب العلمية.
٤٠- تفسير المنار «تفسير القرآن الحكيم». محمد رشيد رضا ت ١٩٣٥ م، خرج أحاديثه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤١- تناسق الدرر طبع باسم أسرار ترتيب القرآن. جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا. دار الاعتصام، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
٤٢- تهذيب التهذيب. أحمد بن حجر العسقلاني. دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ.
٤٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبدالرحمن بن ناصر السعدي، بعناية سعد بن فواز الصميل. دار ابن الجوزي.
٤٤- جامع البيان في تفسير القرآن. معين الدين محمد بن عبدالرحمن الحسيني الإيجي الشافعي. شركة غراس- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤٥- جامع البيان في تفسير القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٤٦- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي. لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩ هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر. المكتبة الإسلامية.
٤٧- الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: سالم مصطفى البدري. دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٤٨- جنى القلب الهايم في مقاصد السور ومحاورها، عدنان عبد القادر القادري، دار كنوز أشبيلية ، دار حامل المسك، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٤٩- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي - الدمام ١٤٢٥هـ.
٥٠- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي. للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٥١- خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم البيان. د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة الثالثة.
٥٢- درء تعارض العقل والنقل. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن

تيمية، تحقيق: د/محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود الإسلامية – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار المعرفة – بيروت.

٥٥- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز. لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف الخطيب الإسكافي. دار الآفاق الجديدة- بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٥٦- دلالات التركيب. د/محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٥٧- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م.

٥٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للعلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي. دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثانية.

٥٩- الروض الريان في أسئلة القرآن. شرف الدين الحسين بن سليمان الريان.

مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٦٠- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية- بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٦١- سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
٦٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. لمحمد ناصر الدين الألباني. الدار السلفية - الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٦٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي.
٦٤- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق عزت الدعاس. توزيع محمد علي السيد- حمص، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٩م.
٦٥- السنن الكبرى. لأبي بكر أحمد سعد بن الحسين بن على البيهقي. دار الفكر.
٦٦- السنن الكبرى. لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تخريج: أبي أنس جاد الله بن حسن الخداش. مكتبة الرشد- الرياض، الدار العثمانية - عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٦٧- سوق عكاظ ومواسم الحج. عرفان محمد حَمُّور، مؤسسة الرحاب

الحديثة – بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
٦٨- شرح العقيدة الطحاوية. ابن أبي العز الحنفي، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.
٦٩- صحيح أسباب النزول، إبراهيم محمد العلي، دار العلم – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
٧٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البُستي السجستاني بترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.
٧١- صحيح ابن خزيمة. أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السّلمي النيسابوري، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي– بيروت.
٧٢- صحيح البخاري. للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. دار السلام – الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٧٣- صحيح الجامع الصغير. لجلال الدين السيوطي، بتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م.
٧٤- صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري

النيسابوري. دار السلام- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨.
٧٥- الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي، مطابع الهدف، الكويت.
٧٦- صفة صلاة النبي ﷺ. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
٧٧- صفوة البيان لمعاني القرآن. للشيخ حسنين مخلوف. وزارة الأوقاف الكويتية.
٧٨- الصناعتين. لأبي هلال العسكري. مطبعة محمد علي صبيح.
٧٩- علم المناسبات في السور والآيات. د/ محمد بن عمر بازمول. المكتبة المكية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .
٨٠- غاية المرام تخريج أحاديث الحلال والحرام. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
٨١- غرائب القرآن. انظر تفسير غرائب القرآن.
٨٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر.
٨٣- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. أبو يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق :محمد علي الصابوني. دار القرآن الكريم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٨٤- فتح القدير الجامع بين فنَّي الراوية والدراية من علم التفسير. لمحمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ. دار المعرفة- بيروت.
٨٥- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٨٦- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم. د/ محمد بن عبدالرحمن الشايع. مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٨٧- فضائل القرآن. لأبي عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٨٨- في ظلال القرآن. لسيد قطب. دار الشروق- القاهرة، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٨٩- القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٩٠- قول على قول. حسن سعيد الكّرمي. دار لبنان للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٩١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨ هـ.

دار الباز- مكة المكرمة، دار المعرفة- بيروت.
٩٢- كشف المعاني في المتشابه والمثاني. لبدر الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم ابن جماعة. دار الشريف- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٩٣- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١١م.
٩٤- لسان العرب المحيط. لمحمد بن مكرم بن علي الأنصاري الأفريقي جمال الدين أبو الفضل المعروف بابن منظور. دار لسان العرب - بيروت.
٩٥- مباحث في التفسير الموضوعي. د/ مصطفى مسلم. دار القلم- دمشق.
٩٦- مباحث في علوم القرآن. د. صبحي الصالح.
٩٧- المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي. دراسة وتحقيق: د/ رشيد الحمداوي. مكتبة أولاد الشيخ للتراث- الهرم - مصر.
٩٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير الموصلي. المكتبة العصرية - صيدا- بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
٩٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد. الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

١٠٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي.دار ابن حزم - بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٠١- مختصر تفسير المنار. لمحمد رشيد رضا. المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٠٢- مختصر سنن أبي داود للمنذري مع معالم السنن للخطابي وتهذيب ابن القيم. تحقيق: أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي. دار المعرفة- بيروت.

١٠٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية. دار الكتاب العربي- بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٠٤- مدارك التنزيل. أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي. دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي (بولاق).

١٠٥- مستدرك الحاكم. للإمام أبي عبدالله محمد عبدالله الحاكم. دار المعرفة- بيروت.

١٠٦- المسند. للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. دار صادر- بيروت.

١٠٧- مسند البزار «البحر الزخار» أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، دار العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٠٨- معاني القرآن. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
١٠٩- المعجم الكبير. لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠ هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. وزارة الأوقاف في الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى.
١١٠- معجم متن اللغة. أحمد رضا. دار مكتب الحياة - بيروت- لبنان، ١٩٨٥م.
١١١- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار بهامش إحياء علوم الدين. الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي. دار المعرفة - بيروت.
١١٢- المفردات في غريب القرآن. لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة- بيروت.
١١٣- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات. د/ محمد المغراوي. دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.
١١٤- مقدمة تفسير ابن كثير مطبوع مع التفسير.
١١٥- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. لأحمد بن الزبير الغرناطي، دار النهضة العربية- بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١١٦- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. د/ محمد الأمين الخضري. مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
١١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد بن عبدالعظيم الزرقاني. دار إحياء الكتب العربية - البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.
١١٨- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١١٩- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز .
١٢٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
١٢١- النكت والعيون. لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٨٢م.
١٢٢- وضح البرهان في مشكلات القرآن. محمد بن أبي الحسن الغزنوي بيان الحق النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان. دار القلم- دمشق، الديار الشامية- بيروت .

* * *

صدر للمؤلف

❑ **التفسير وعلوم القرآن**

- أسرار جمالية قرآنية.
- جنى القلب الهايم في مقاصد السور ومحاورها.
- اللمسات الحانية في مقاصد السور الغانية.
- المختصر من نثر الماس والدرر في طرق البحث عن مقاصد السور.
- من لطائف اللفظ ونواعم اللحظ في مقاصد سورة الكهف وقراءتها يوم الجمعة.
- المِلاك لمعرفة عجائب وأسرار الآيات المتشابهة.
- نظم الماس والدرر في معرفة مقاصد السور، من الصافات إلى الحجرات.
- السورة في طرق التوصل إلى محاور السورة.
- قواعد العناق لمعرفة ما بين الآيات من التناسب والاشتياق، وهو الكتاب الذي بين يديك.

❑ **العقيدة**

- إلهي يا شوق.
- براءة السلف مما نسب إليهم من انحراف في الاعتقاد.
- حياة الأرواح في ثمرات الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

- رحلة حب إلى الله.

❑ الفقه والحديث

- عدم حجية رواية عبدالله بن شقيق في إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة، دراسة حديثية وأصولية.
- قواعد وضوابط فقهية وأصولية في أحكام الحج.
- مسائل خلافية في الحج.
- هل أخطأ من أخذ بقول الإمام مالك: لا خصوصية لشوال بصيام الست؟

❑ العلاقات الزوجية

- قد شغفها حباً.
- القواعد المفيدة للحياة الزوجية السعيدة.
- كيف تحولين الزوج الغاضب إلى محب عاشق.
- هكذا استسلم زوجي العنيد لرأيي.

فهرس المحتويات

تم بحمد الله

تم الإخراج3b2 بشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
- هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥ بدالة المطبوعات 24810010 - الكويت